تجليد
صالح الفقر
بيروت - المزرعة

892.71
Ha532mf
v.1

مختارات

من نظم الأديب الكبير

الأستاذ

قسطاكي بك الحمصي

الحلبي

الجزء الثاني

هدية الكلمة

لسنة ١٩٣٩

المطبعة العمومية بحلب

الى مشتركينا الافاضل

ايها النصير الكريم

هـذه هي الهدية ، بل التحفة السنية ، التي وعدنا مشتركينـا الكرام ، بان نقدمها اليهم ، عوضاً عن اعداد الصيف الثلاثة ، لسنة ١٩٣٩ من الكلمة ، وهي السنة الرابعة عشرة من سنيها .

وقد كنا نعلل النفس ، بهذه الامنية ، منذ سنوات خلت ، حتى اتاح الحظ ، اجتماع بعض الافاضل من الاصدقاء القدماء ، لحضرة عزيزنا الاستاذ ، صاحب هذا الديوان ، فعاوننا عنده ، بالسماح لنا في نشر هذه المختارات من شعره ، اذ اقنعناه ، بان من المتضادات ، اجتماع

ما عُرف به ، من عشقه اللغة العربية وحب انتشار فصاحتها ، مع ضنه بنشر ما يحويه ديوانه من المحاسن ، التي قلما اجتمعت لسواه ، وبعد مزيد الالحاح ، اجاب ملتمسنا ، ونحن لا نشك ، في اننا بنشر هذه المختارات العطرات ، قد خدمنا مشتركينا اجل خدمة ، معلنين شكرنا ، لحضرة الاستاذ نابغة الشعر — وشيخ الادب في بلاد العرب ، كما قال عنه شاعر الاقطار العربية ، الاستاذ خليل مطران — مع جملة القراء العديدين ، الذين يشاركوننا في الطرب لدى قرآءة هذه الدرر ، ونسأل الله ، عز وجل ، ان يمد في حياته ، ليزيدنا من طُرَفهِ وحسناته ، انه السميع المجيب .

المحامي

فتح الله صقال

صاحب مجلة الكلمة بحلب

مُقدّمة الديوان

اخلعْ نعالكَ يا كليمُ فانتَ في ارض مقدسةٍ بنفسٍ وَالهَه
واذا سمعتَ الشعرَ فانزعْ ستر رأ سِكَ خاشعاً فالشعر نُطق الآلهه

الشعر هو مرآة نفوس الشعرآء ، ومتجلى تخيلاتهم بما على وجه الغبرآء وما في الفضآء ، ومسرح افكارهم وسرائرهم ، ومعرض تصوراتهم وضمائرهم .

وهو سميرُ الاديب والخليّ ، ومؤنس وحشة الغريب والشجيّ ، ونديمُ العظمآء ، وخليل الحكمآء ، وغبطة العشّاق ، وعُلالة المشتاق ، والمؤرّخ والراوي ، والناشر والطاوي ، وابهى حليّ الحسان ، واشرف مزايا اللسان .

وهو مُرُّ العداوة ان يُعادى ، شديد النكايةِ ان يُبادى ، ما عاداهُ وزيرٌ او سلطان ، الاّ وناله من سخطهِ ويلٌ وهوان .

وهو الرسول الامين ، الذي يعرب ويُبين ، والخدين الذي لا يمين ، وواسطة عقد الشمل بين المحبين ، والمغرّد الذي يقيم المسرات ويقعد الاحزان ، والاغنيّة التي لا تملُّها الاذان .

بل هو رائد القطيعة والعداوة بين القلوب ، ومثير زعازع الفتن والحروب بين الشعوب ، ببيتٍ منهُ تُهتَكُ استارٌ وتُهدم بيوت

وقصور ، وتُهدر دماء وتطيش حلوم وتوغر صدور ، يُضرم في النفوس نار حبّ الوطن وما ادراك ماهيه ، فاذا هي في سبيله متعادية متفانيه ، يتسابق شجاعها والجبان الى مصارع الهاويه .

لا بل هو المزهر الذي تختلج لنغماته حبّات القلوب ، والنديم الساحر الذي يُلهي المحبّ عن المحبوب ، والمرقص المطرب ، والواصف المُعجب المغرب ، يحلو تكراره في الافواه ، وان مُلّ تكرار سواه .

وهو الضيف قِراه الاسماع ، ومنزله الضمائر والقلوب ، خفيف الظلّ خفيف المتاع ، لا يعتريه هرَمٌ او لغوب ، ولا ينال عيونه كلال او نضوب ، ان أُنشد تودّ المقل لو انها مسامع ، وتتمنى القلوب لو انها لاسراب ظبياته مراتع ، ولنجومه وبدوره مواقع ومطالع .

وهو المؤبّن الذي ينفطر له الفؤاد جزعاً وتفجّعا ، وتكاد تسيل لديه عيون الجماد رحمةً وتوجّعا .

بل هو سرّ من اسرار الالفاظ لا يلج في الاسماع الاّ ويملك من الافئدة العنان ، فيصرّفها كيف شاء هُدىً او ضلالاً فهو لا ريب ربّ البيان ، او هو طلّسم سحريّ ينفث فيه العبقريّ فيدفع به الوفاً نحو موارد الحتوف ، يحسبون انفسهم في جنة موعودة وهم بين طعن القنا ووقع السيوف .

بل هو مظهر من مظاهر الجاذبية ، يتجلى في بعض النفوس البشرية لقابلية فيها او خاصية ، ويؤثر في نفوس سامعيه ويلذّ لهم كما يلذّ الماء

للعطاش ، فيهلكون بتأثيره عن رضى كما يهلك بالنور الفراش ، وهذا من اغرب آياته واسراره ، واعجب افعاله واطواره ، وهو ذاك في سائر اطراف البسيطة ، وحاله تلك في الامم البالغة ارقى درجات الحضارة والبسيطة ، لا يختص سلطانه بلغة دون اخرى من اللغات ، ولا بوزن من الاوزان او نغمة من النغمات ، اعيا المدارك سر فعله في النفوس فلا تستطيع له وصفاً وافياً او تعريفا ، واستعصى فاعل تأثيره على البصائر فلا تطيق له تحديداً او تكييفا ، وهو جواد جمح بكثير من فرسان الفضل وملوك العرفان ، وسلست مقادته على بعض غلمان الورّاقين والخبازين والرعيان .

وهو غذاء العاشق وترتيله في صبحه ومسائه ويقظته وهجوده ، وقربان الهائم على مذبح تقديسه وسجوده ، وضحية المتيّم لدى محراب فاتنه ومعبوده .

والخطيب الذي تلعب بالعقول كلماته ، والوحي الذي هبطت من اسمى عروش البلاغة آياته .

بل الجارح الجرح لا يلتئم ، والصارم الذي لا يكل ولا ينثلم .

بل هو الشفيع المشفّع اذا قامت حجة الخصوم ، والناصر الذي لا يجزع اذا عزّ انصار المظلوم ، لم ينطق بشير السلام بلسان اعذب من لسانه ، ولا توسّل الى الصلح والموادعة متوسّل الا وكان من اعوانه .

وهو رافع اقدار العظماء ومخلد مفاخرهم ، وراوية احساب الكرماء ورواية مآثرهم ، وهو اخر عقد يُصاغ لتنزيل جواهر المحاسن والمكارم ،

وابهى تاجٍ تتزين به رؤوس الملوك والاعاظم ، واجلّ تحفةٍ تُهدى في التهاني والمواسم ، وأنفس ما احتفظ بهِ الاحباب من الرتائم والعزائم .

بل هو رسم ادق العواطف واخفى حركات النفوس ، والصهباء التي تسكر بها الاذواق صافية من اكدار الكؤوس .

بل هو الحكمةُ توحيها الفطنةُ الى ملك البلاغة والبيان ، فتبرزُها لعالم السمع في ابدع مطارف النُهى وابرع حُليّ اللسان .

وهو السجلّ مجدّد مآثر الذاهبين الاولين بصورةٍ عديمة المثال ، معدّد مفاخرِ المتفردين المتقدمين بطريقة منقطعة المنوال ، ممثّل المحاسن للعيون بعد ان لبثت قروناً في الارماس ، معرّف كلّ نكرةٍ مدفون بعد ان تراخت العصور وتداخلت الاجناس ، مقيم القسطاس المستقيم فلا يبخسون ولا يُغبنون ، يُوفى كلاً حقّه فيستعادُ المسلوب وان تقادمت القرون ، بل هو ناشر الاموات ، ومحيي الرفات ، وقد تخلصت من عوائق الاجساد ، وتملصت من بوائق الحسّاد .

بل هو روح يمازجُ النفوس فيصعد بها في عوالم الغيب ، فتتخطى مناطق القياس والتقدير الى عوالم الشك والريب ، وتجوز افلاك الحدس والظنون ، وتخترق الحجب فتترك خلفها ابعد مرئيات العيون ، وتجرّد من عناصر الوهم والتخييلات ، احوالاً ومخلوقات تحسبها لديها من المشهودات .

بل هو بُخارُ الرياض والانهار ، ونفحات الربيع والازهار ، وصدى

البلابل والاطيار ، والحان نسمات الاسحار .

بل جوهر قد تجرد عن الهيولى ، وترفع عن المادة الاولى ، فلا يتوصّل اليه بغير السمع من أدوات الحسّ ، ولا يعلق به شيء من النظر او الشمّ او اللمس ، وقد يتمثل لدى اعين الذهن مليّاً ، كما لو كان مخلوقاً سوياً ، ويُقبَّل ملفوظاً ، ويُتصور ملحوظاً .

بل هو افصحُ ترجمان لاعجم مخلوقٍ في عالم الوهم ، وابلغ معربٍ لاغلق مكتوب في غياهب الحلم .

بل اوضح مصوّر لاسرع سانح في فضآء الخيال ، واجلى مفصّل لمعترك التصورات في غيابات المحال .

بل هو المعبود الذي حارت في وصفه الفلاسفة والحكمآء من اليونان والرومان ، وهامت في حبّه قلوب العارفين والفضلآء في مشاهير الامصار والازمان ، ونطقت به الاولياآء والانبياآء وحامت حوله قرائح العظماآء والامراء ، وباهت باربابه السلاطين ، والجبابرة من الفاتحين المتغلبين ، في كل قطر وفي كل حين .

فبينا تحسب نفسك جائلةٍ في مصارع عشاق ، ومفازة اشواق ، اذ تراها في جَوب آفاق ، ومشاهدة عجائب اتفاق ، وبينا تظنها سارحة بين اسراب غزلان ، في رياض وفلوات وجنان ، اذ تراها بين خلان وندمان ونقل وريحان ، عاكفة على اباريق الدنان ، كأنها نشوى سرور وامان ، بين نقر الاوتار على العيدان ، ورقص البلابل على الاغصان .

وبينما يخيّلُ اليكَ انك في ميدانِ قتال ، بين سيوفٍ ورماح

ونبال ، و كرّ وفرّ ، وبترٍ وهبر ، وصراعٍ وجلاد ، في هضبة او واد ، بين بروقِ المدافع ورعودِها ، ونحوسِ المعامع وسعودِها ، اذ تظن انك نُقلت الى مجالس انس عقد لها السرور ابهى الرايات ، او الى مجمع علماء يديرون بارع الاداب في روائع الكاسات ، او انك تنوح ورآء الجنائز ، او تروح بمأثور الجوائز ، او تمدح الخلان والاعيان ، او تشبب وتتغزل بالحسان ، او تتشوق الى الاوطان ، او تذم الغربة والرقيب ، او تقدح في العشرةِ والمشيب ، او تُطري الوفاء والعدل ، او تُثني على ذوي الفضل ، او ترى نفسك في هياكل الفلاسفة وحلقات الحكماء ، تدرس مكارم الاخلاق ومستصوَب الاراء ، وتنشر من مطاوي الفضائل وخزائن المحاسن انور الاضواء ، كأنكَ قائمٌ بين اقوام قد اكل الدهر عليهم وشرب ، وانت الان تفرح لفرحهم ولما يُحزنهم تحزن وتضطرب ، بَيدَ انكَ لم يتغير بك مكانك ، ولا تقادم عهدك ولا تحوّل زمانك ، وانما هو الشعر اراك الحياة شباباً ومشيبا ، والمستحيل ممكناً والبعيد قريبا ، واذاقك العيش حاداً وضريبا ، وصوّر لك ما تتوهمهُ حقيقةً في مراتب الاوهام ، وجسَّم لك الوهم فرحتَ تحسبهُ في عداد الاجسام .

اما بعد فهذا تعريف الشعر بالاجمال وبقدر ما امتثلتهُ القريحة الضعيفة وفي ديواني هذا شيء او اشياء مما وصمتهُ آنفاً فان لم يجمع محاسن الشعر او شيئاً منها ، فهو لا ريب مرآة ايامي ، وتأريخ ظعني ومقامي ، وحربي وسلامي ، وراوية اخباري ، وكاشف عواري ، وقد رتبتهُ بحسب

ازمان نظمه ، وهذه الطريقة ــ اي الترتيب بحسب تواريخ النظم ــ ادلّ عندي على اغراض الناظم وحالة الزمن وما يتعلق بالبيئة والدواعي التي دعت الى النظم ولا سيما سنّ الناظم وخفيات نفسه وضميره ، وقد علمتَ ان الشعر ليس كفنّ الغناء او التصوير او النقش او الموسيقى بحيث يُراد منه تعلم الفن او مسرة النفس من النظر الى محاسن المنظورات ، واستماع المطربات ، بل هو بحسب ما اجملته لك فنٌّ جليل وعلم واسع يحيط بتفصيل المرئيات والمسموعات ووصفها بحسب تأثيرها في نفوس معاينيها وسامعيها ، بل وصف سائر المحسوسات والمعلومات على هذا النحو ، بل بابراز الموهومات في صور المشهودات ، فيرى فيه الناقد البصير غير ما يرى القارئ البسيط ، اذ هذا لا ينظر غير الحروف ولا يستدل بها على غير الالفاظ بمعانيها الظاهرة ، واما ذلك فلا يرضيه الاّ أن يتطلّع الى ما وراء ذلك وان ينظر بعين الشاعر نفسه ويتلمس الوقوف على احداثه النفسانية ويتجسس عواطفه ساعة تأليفه تلك القصيدة او ذلك البيت ، بل يطمع ان يجسّ بيده صدر الشاعر فيعدّ عليه دقات قلبه ، وان يمتد بصره فيطّلع على اخفى حركات نفسه وادق شعوره واهوائه كما لو كان شعره مرآة ذلك كله .

وهذا ولا ريب مطلبٌ لا يتسهل منناله لجميع طلاّبه ، ومطمع لا يتيسّر لعامة الطامعين من رغّابه ، وهو فرع من السيكولوجي المعرب بعلم قوى النفس او بعلم النفس .

على أنّ من رُزق حظاً من الذوق العالي ، ونصيباً من النباهة ،

وحصة صالحة من علوم الادب ، وقلباً عليماً باسرار الالفاظ ، وبصراً صادقاً بمواقعها ، كان حرّياً ان ينكشف لهُ حجاب اللفظ عن صور المعاني ، وان يتوصل الى متطلّعه ، ويفوز عند الاستبصار بمطمعه ، ولا سيما وان جيد الشعر — وكلامنا عنهُ — ليس من الطلسمات او الاحاجي التي يُتعمَّد اغلاقها وتغميضها ، بل الالفاظ نفسها بمعانيها الحقيقية ، دالة على ما تعمد الشاعر تصويرهُ ، بل دالة على ما صورته مخيلة الشاعر ساعة تأليفه وعلى عواطفهِ وشعوره .

ولهذا كان الشعر عند هذه الطبقة من حذّاق النقّادين ، تأريخاً صادقاً بل لساناً ناطقاً ، فهو مخلد قائليه بجميع اخلاقهم وعواطفهم ومَن صاحب قائليه من المشار اليهم في شعره على كؤوس الشراب او عند المداعبة والعتاب ، ولا سيما مَن مدحوه او هجوه او راسلوه الى كثير مما يتعلق بعادات عصرهم وآداب قُطرهم واحوال مجتمعهم .

فعسى ان يكون في ديواني هذا ما يخلد لي حسن الذكر ، ولذوي رحمي ما لا يخفض القدر ، وسلام على من كشف الحسنات ، وستر الزلات ، وتبارك من تفرد بالكمال ، وجل عن النقص في كل حال .

وكتب في ١٥ تموز سنة ١٩١٧

في حلب سنة ١٩٣٩ فسطاكي الحمصي

قال وهو من اوائل شعره

ما كنتُ ادري قبلَ يوم فراقكمْ كيفَ النفوسُ تفارقُ الاجسادا
هذا الممماتُ فهل ليومِ لقائكمْ بعثٌ يزيلُ الكفرَ والالحادا

وقال ايضاً وهو من شعر الصبا

ظبيٌ تهابُ الاسدُ موقف طعنهِ اجالُنا سكنتْ بمرهفِ جفنهِ
سلب القوى بصدوده ونفورهِ مَن مسعفي بوصاله وبأمنه
يا أيها الرشأ الذي من سحرهِ هاروت اصبح عاجزاً في فنّه
الرفق من شيم الملوكِ فلا تجرْ يا مالكاً كلَّ القلوبِ بحسنه
حكمَ الغرام بمهجتي فاذابها والشوق هدّ تصبري من ركنه
وجفاكَ فرّق بين جفني والكرى وسحابُ جفني صبَّ آخر مُزنه
عطفاً على صبٍّ صريع هواكَ اذ قد كاد يقضي حسرةً من حزنه
واسمح ولو بزيارةٍ تطفي الجوى وتحرّقُ الواشي بخيبة ظنه

وقال وقد بعث بها الى صديقه العلامة نسيج وحده وقريع دهره الشيخ ابرهيم اليازجي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٣

يا رسوليَّ اذهبا فابلغاها انني اليومَ قد سلوتُ هواها
جهلت قدرَ صبّها ثم جارت واستطالت بحكمها وقضاها
طال منها البعادُ فاعتلَّ جسمي ثم علّلتُ ناظري بلقاها
زاد منها النفار لمّا التقينا فتمنّيت لو اطالت نواها
كلُّ مرٍّ من المليحة يحلو ما خلا صدّها وطول جفاها

يا خا الودِّ كم تصبّر نفساً ... لم تقابل سلوّها برضاها
لم اطع للسلو حكماً ولكن ... ساقني ظلمُها ونقص وفاها
كنتُ عبداً لها ارى الذلّ عزّاً ... في خضوعي وطاعتي لعُلاها
فجفتني وانني خيرُ حرٍّ ... من كرام بالمجد تحمي حماها
كم ليالٍ قضيتُها وأليمُ الـ ... ـسُهد قد ناب عن لذيذ كراها
يلعبُ الشوقُ بي وحشو ضلوعي ... نارهُ جاوزت حدودَ لظاها
لا خيالٌ يزور منها محباً ... حاربتهُ على المدى مقلتاها
او فؤادٌ يرقُّ منها لشاكٍ ... يشتكي هجرها وفقد ولاها
ما اجتمعنا للعتب الاّ وكان الـ ... ـدَلُّ منها يزيد نفسي بلاها
ما عليها لو عللّتني بوصلٍ ... وشفت مهجتي برشف لماها
واضياع الزمان في حب خودٍ ... احرقت قلب صبها بِقلاها
كلما رمتُ عرض حالي لديها ... زاد منها الاعراض عن مضناها
ما احتيالي في عشق ربة حسنٍ ... يخجل البدر ان تبدى سناها
عاهدتني على الوفا بعض عامٍ ... بعدما عمتُ في بحار هواها
فترقبت نجم سعدي ولكن ... قد نهاها عن الوصال نُهاها
انَّ عهد الحسناءِ يا صاح برقٌ ... خلّبٌ مثل سخطها ورضاها
لن ترى عمرها محباً نظيري ... وانا ليس لي حبيبٌ سواها
ولئن قلتُ قد سلوتُ هواها ... فانا والهوى عشيق هواها
قد سلوتُ النفار منها ولكن ... لستُ اسلو جمالها وبهاها
فتنةُ العالمينَ جلَّ الذي من ... جوهر الظرف والجمال براها

حرتُ في عشقها كما حرت في وصـ ـف ابن ناصيفَ مَن به اتباهى
الامامُ الخطيرُ ذو الفضل إبرا هيمُ من قد سما مقاماً وجاها
واحد العصرِ ناصر العلمِ قامو سُ القوافي ومن يشدُّ لواها
شاعرٌ ناثرٌ فصيحٌ بليغٌ بصنوف العلومِ ليس يُضاهى
حاز بالعقل فضل شيخ جليلٍ وارتدى اللطف حلّة واقتناها
فغدا مدحهُ على العلم فرضاً وبه اليومَ قائل الشعرِ تاها
شهدَ الحق أنهُ خيرُ خلٍّ قد رأى الودَّ سنّةً فرعاها
لم أُرد مدح ما به من صفاتٍ فوق قدرِ الزمان شرح عُلاها
انما عتبهُ لقد كان قصدي وعن العتبِ ضلَّ عقلي وتاها
يا خليلي ماذا ترى في مُحبٍّ نحوكم جُنَّ شوقه وتناهى
كيف نجفو وليس لي بعض صبرٍ وعهودُ الولاءِ ماذا عراها
يا رعى اللهُ طيبَ ايامِ انسٍ في مغانيكمُ تقضي صفاها
انّ بيروتَ روضةُ العلم لكن انتَ بدرٌ حللتَ منها سماها
خيرُ ما مرَّ لي من العمر قد كا ن بها هل تُرى اعود اراها
فلئن ضمَّ شملنا الدهرُ يوماً سيطولُ العتابُ معكم شفاها
ها كها كاعباً بمدحك تاهت ومن العتب فاح عرف شذاها
والرضى مَهرُها فان جدت يا بش رى والا فيا لطول شقاها

ومن شعرِ الصبا ايضاً ذكرى ليلة سرور

حسبُ المحبِ على الغرامِ دليلا ضَعَفٌ به لا يقبل التأويلا
لو لم يكن بالحسنِ اعظمَ هائمٍ لم يدرِ وحيَ الوصفِ والتنزيلا

في حبِّ غانيةٍ يعاني صدَّها ... ويرومُ منها للوصال سبيلا

يا قلب كم هذا التمادي في الهوى ... فلقد اذابك بالسهاد نحولا

قال الفؤادُ عصيتُ امرك مذ اطعـ ... ـتُ العشقَ لستُ محاولاً تبديلا

لا انتهي واللهِ لو عنَّفتني ... وقرأتَ لي التوراةَ والانجيلا

كيف الفرارُ يُرام من أسرِ الهوى ... وله عنت دُوَلُ النُهى تفضيلا

فانا ومن فَلقَ النوى صبٌ نوى ... أنْ لا يرى عن عشقها تحويلا

سحَّارةٌ تسبي العقول اذا رنت ... فتَّانة شرعت لنا تضليلا

ادنو فتنفرُ كالغزال تدلّلاً ... وتسلُّ من هدب الجفونِ صقيلا

قد ارَّكبتني كلّ صعبٍ في الهوى ... وتحلَّلت من ادمعي مطلولا

روحي الفداآء لغادةٍ قد علَّمتـ ... ـني في الهوى التركيب والتحليلا

قد الهمتني شعرَ داودٍ بها ... رعبوبةٌ من آلِ اسرائيلا

ما تهتُ الاّ في بديع جمالها ... وارى هُداي بغيرها تدجيلا

لم انسَ لا واللهِ ليلتنا التي ... مرّتْ بدارِ الفخْمِ ميكائيلا

سعدُ السعودِ جمالُها لمّا انجلى ... هزَمَ النحوسَ ولقَّنَ التهليلا

مجموعُها متناسبٌ باللطفِ الا ... م ردفها فلقد يُظنُّ ثقيلا

بجمال صورتها وهيكل جسمها الـ ... ـقدسيِّ عابتْ صنعَ رافائيلا

اشكو اليها لوعتي وصبابتي ... واقولُ ليسَ الصدُّ منكِ جميلا

ناديتُ طيفكِ ان يَلمَّ فلم يَجُدْ ... حاشا لطيفكِ ان يكون بخيلا

يا شمسَ حسنٍ اشرقت لعقولنا ... فازالتِ التشكيك والتعليلا

ألا أنَّني قد قلتُ حسنَكِ ثابتٌ ... أجزى بحرمٍ مثل حرمِ غليلا؟

فتبسمت مما اقول كأنها مَلَكٌ يُثيبُ الحمدَ والترتيلا

وقال يداعب صديقاً اسمهُ خليل

اضاع عهدي ولكن سرّيْ غدا في يديهِ
فلم أَلُمْهُ بحرفٍ لفرطِ شوقي اليهِ
في كل حالٍ خليلي يا نارُ كوني عليهِ

وقال وهو من السهل الممتنع

لله في ذا الخلقِ احـ ـكامٌ تجلُّ عن الغلطْ
فاقت مداركنا فمَن يُزري بها ركب الشَطَطْ
ولقد يرى فيها الخطا من في الغواية قد سقطْ
ويقول كيف يسودُ من في الناسِ عُدَّ من السقَطّ
وغدٌ تقيَّأَهُ الزما نُ الرذلُ لما أَنْ مَخطْ
ركبَ المحارمَ كلها ومع الابالسةِ ارتبطْ
قد شبَّ بين المنكَرا تِ وبالكبائرِ قد شمَطْ
وجرى وبين ذوي الرُّا سةِ قد تسمى وانخرطْ
قبحاً لوجه الدهر قد رقّى الاسافلَ للخطط
كم ماكرٍ كابن الفُلا نِ بدا بثوبٍ يُغتَبَط
ومشى وفي يدهِ عصا الـ ـراعي وبالتقوى لغط
ودعا لطاعة ربنا وعصى ونعمتَهُ غمَط
يُغري بظاهرِ ثوبهِ ونفاقهِ القومَ الوسط

وُيري الصلاحَ مخادعاً ... مَن كان من ذاك النمط
وبصدره كَمَنتْ نُيو ... بُ الصلِّ تنهش ان قنط
وصل الخبائث بالفوا ... حشِ والفضائحِ وانبسط
والى التفاسد بين خل ... قِ الله طرّاً قد نَشط
وعلى الخبيثةِ نفسه ... بغضَ الفضائلِ قد شرط
وجميعَ ما في الارض من ... لؤمٍ وغدرٍ قد ضبط
والى الدنايا قد سعى ... وبكل نجسٍ قد خبط
واشتطَّ في اطماعه ... وغروره حتى هبط
فتقطّعت آمالُهُ ... وبذلك المسعى حبط
وسمعتُ اولادَ الازقـ ... ـة قد تغنوا بالغلط
ما قام عمروٌ بالولا ... يَةِ ساعةً حتى ضَرَط
مهلاً فداكَ ذووكَ يا ... ذا السيّدُ البادي السخَط
واصبر فسوف ترى الذي ... كسبت يداك مِنَ اللقَط
وتَعضُّ من ندمٍ يديـ ... ـكَ وتبكينَّ لما فَرَط

وقال وهو اول ما كاتب به صديقهُ علامة العصر الشيخ ابرهيم اليازجي

سنة ١٨٨٣ بعد ملاقاته في بيروت سنة ١٨٨٢

يا إمامَ القريضِ والنثر يا من ... خُصَّ بالفضل دونَ كلّ مجارِ
أفتنا في محبّ قومٍ كرامٍ ... مذ نأوا دمعهُ جرى كالمجاري
ذابَ شوقاً فهل لهُ من دواءٍ ... غير قربٍ من بعدِ بُعد الجوار

فاجابه طاب ثراه

يا حبيباً اغرى القلوبَ فاضحى كلُّ قلبٍ به رهينَ أسارِ
ثم ولّى فسرنَ في اثره مُسـ ترشداتٍ بطيبه في القفارِ
جئتَ مستفتياً وانتَ عليمٌ بعلاجِ الاشواق والانتظار
ولديكَ الدوآء فامنن وما ذا كَ اذا اسطعتَ غيرقربِ المزار

وقال

اذا ما امورُ الورى اعضلتْ لمثلكَ تُلقى مقاليدُها
وحاجةِ نفسٍ تمنيتُها وبالشيخِ صحتْ مواعيدُها

وقال وقد نقش على ابواب مدافن المسيحيين بحلب سنة ١٨٩٤

مثلكم فوق هذه الارض كنا امس واليومَ قد طوتنا القبورُ
فاخفضوا الطرف ان نظرتم الينا فالى هٰهنا تصيرُ الامورُ

وعلى الباب الثاني

خفِّف الوطءَ ان مررتَ علينا واخفض الطرف ان نظرت الينا
هكذا تنتهي حياةُ البرايا وسيجرون مثلما قد جرينا

وعلى الباب الثالث

قد سعينا ورآءَ مجدٍ وفخرٍ وبنينا منازلاً وقصورا
وتركنا جميع ذاكَ بحكمِ الـ ـلهِ واليوم قد سكنّا القبورا

وعلى الباب الرابع

كلٌّ من فوق هذه الارض يفنى ... وسيبقى الاله ربُّ الجلالِ
ليس للمرءِ بعد دنياهُ الاَّ ... ما اتاهُ من صالحِ الاعمالِ

وقال مضمّناً

قد كافأوني بشرٍّ ... وانكروا لي حقا
كذا الاسافل تجزي ... والله خيرٌ وابقى

وقال وهو من شعر الصبا

ما كان ذنبي يا أعزَّ الناسِ ... حتى بدلتِ بالجفا ايناسي
بينا أُعللُ منكِ طرفي باللقا ... جرّدتِ بالهجران سيفَ اليأسِ
ما كنتُ احسبُ أنَّ ارى قلباً من الـ ... ـفولاذِ في جسمٍ منَ الالماس
أنسيتِ موثقَنا واياماً مضت ... كانت بعمرِ الدهرِ كالاعراس
قد كنتِ مأمولي وقرَّة ناظري ... قد كنت في جنح الدجى نبراسي
قد كنت ركن صبابتي وعبادتي ... قد كنت عندي مقدس الاقداس
قد كان نجمي فيك فوق المشتري ... يا زهرةً فتنت عقولَ الناس
قد كنتِ لي انس الحياة ونعمة الـ ... ـدُنيا وطيبَ النفس والانفاسِ
كانت اويقاتُ الهنا موصولةً ... اذ كنتُ احني فوق صدرك راسي
واضمُّ خصركِ باليمين وبالشما ... لِ وقد سكرتُ وقد فقدت حواسي
والقلب يخفق والعيون شواخصٌ ... بكِ والسعادةُ فوقَ كل قياس
إن كنت قد أنسيتِ هذا كلهُ ... فانا وحقكِ لم اكن بالناسي

فعلى مَ قابلتِ المودة بالجفا وبدلتِ لي الضحّاكَ بالعبّاسِ ؟
وجعلتِ حظي مثل ليلي اسوداً ومزجتِ صفو العيش بالوسواس؟
أحسبتِ اني لم اكن لكِ عابداً فرميتني بالكفر والابلاسِ (١)
وجحدت قبلة عهدنا وهجرت بي مةَ حبّنا وكسرت لي اجراسي
وتركتني غرضَ الشماتةِ للعدا ويلي من الحُسّادِ والحرّاسِ
واخجلتي بعد البشاشةِ منك لي هذا الجفآءِ بحضرة الجلاس
ان كان قد افتى لك القسيس في صدّي فمطرانُ الهوى شماسي
فلاحرمنَّ المستحلَّ لكِ الجفا عن سرّ توبته مع القدّاس
فلقد أثارَ بلابلي بفنونهِ فيما قضى واستلَّ روح نُعاسي
هل كان الاّ دين حقٍّ ديننا هل في الرضى عن عاشق من باسِ
فبحقّ ما بيني وبينكِ في الهوى لا تسمعي لوساوسِ الخنّاس
وتذكري تلك العهود فانني اوفى محبٍّ قام بين الناس
ولأنتِ مطلوبي من الدنيا وان احرقتِ قلبي بالجفآءِ القاسي

١٩٩٥

وكتب الى بعضهم وقد وظف في لجنة تعديل الاملاك مداعباً

اعدلْ اذا قوّمت ملكاً ولا تظلمْ فما افلحَ عبدٌ ظلَمْ
واكتُمْ اذا ما نِلت شيئاً فقد نال الرضى والربحَ من قد كتَمْ

وقال

دَعْ عنكَ صهباءَ الدساكرْ والى بيوتِ الدرس بادرْ
فلأنتَ في عصرٍ تفرّدَ بالمعارف والمآثرْ

(١) الحيرة

قد حاز فيه الغرب غا ... يات السباق بلا مُشاجر
قُطرٌ علا اهلوهُ اسـ ... ـمى ذروةٍ فيها المفاخر
فعلومُهم بلغت الى ... حدٍّ تحارُ به الخواطر
بحثوا عن الاجرام في الا ... فلاكِ وانتبشوا المغاور
وترصدوا سيرَ النجو ... مِ وراقبوا اعلى الدوائر
سبروا البحار وحلّلوا ... ما في الوجود من العناصر
والكهربآء بجَدّهمْ ... اضحى بها ذو اللبّ حائر
جآءت بما شدهَ العقو ... لَ عجائباً وسبى النواظر
والكيميآء بدت بوجـ ... ـهٍ في الحقائق لا يُخامر
قد هام في اسرارها ... من بعد جابرَ الفُ جابر
نظروا الى ما دقّ مم ... ا ليس تدركُهُ البواصر
درسوا الجمادَ مع النبا ... تِ ومنهما عرفوا المصادر
نظروا الى الحَيوَانِ في ... انواعهِ نظرات فاكر
حتى اذا عرفوا طبيـ ... ـعَتهُ وما طوت المشاعر
عمدوا الى تشريحهِ ... وهناكَ كم شُقّت مرائر
نشروا الرسومَ الدارسا ... تِ وكلَّ مطويّ وداثر
قد زعزعوا اهرام مص ... ـر وفتشوا تلك المقابر
فرأوا بها آثارَ من ... قدموا من الناس الاكابر
واستخدموا لِمنافع الـ ... ـتأريخ هاتيك الذخائر
وعنِ الحقائق زحزحوا ... ستراً من الاوهام ساتر

قد خططوا سطح البسيـ ـطةِ والبحار مع الجزائر
والبعدَ قاسوا والعلو ـ وعامراً منها وغامر
وبابرةِ القطب اهتـدوا في البحرِ والديجورُ كافر
وجلوا خفيّات الطبيـ ـعةِ فاستبانت كالظواهر
والسحرُ قد اضحى حديـ ـثَ خرافةٍ او قولَ هاذر
قاسوا الفضآء وقربوا الـ أقصي وقد فُشلَ المكابر
قد حلّقوا في الجوّ بالـ منطادِ تحليقَ الكواسر
والبرقَ قد قادوهُ بالا سلاكِ يعنو للاوامر
قد سخّروهُ بحمل مَنـ ـطوقِ الرسائلِ والدفاتر
فأطاعهمْ ولذلك اسـ تغنوا به عن كلّ طائر
قد اسمعوك ندا البعيـ ـدِ بالةٍ من صنعِ ماهر
قد هندسوا وبنوا بِنا ياتٍ لهم شادت مفاخر
رصفوا الحجارة في البحا رِ وفوقها شادوا معابر
نقلوا البحار الى القفا رِ وسيّروا فيها مواخر
ومراكبٍ قد راحَ يجـ ـريها البُخار وليس ماخر
جابوا الفلاة على عجا لٍ قد جرت جريَ البواخر
خرقوا الجبال لسيرها وعلى الوهاد بنوا قناطر
واستنبطوا للطبع آ لاتٍ تدورُ على محاور
فاذا تفحّصت العما رةَ والنجارةَ فحص خابر
والى الحياكة والصبا غةِ والدباغةِ بتّ ناظر

واذا تأملتَ الفلز ٭ بُعيد ما صاغوهُ باهر
من كلِّ آنيةٍ تقر ٭ بحسن صنعتها النواظر
لا بُدَّ منها للمنا فع والتجمّل في الحواضر
ايقنتَ ان الشرح ليسَ يفي ولستُ عليهِ قادر
في النسج فاقوا غيرَهم فتخالُ صوفهمُ حرائر
ولباسُهمْ وفراشُهمْ هذا وثيرٌ ذاك فاخر
فاذا اتيت بلادهم الفيتَ فيها العيش ناضر
جمعت شوارعُهم احا سنَ كلَّ شيءٍ كان نادر
فبيوتُ الحانِ بها تشدو القيان على المزاهر
وديارُ لهوٍ يلتقي فيها المُباكر والمسامر
ورياض انسٍ ترتعي فيها السباع مع الجآذر
وديارُ تمثيلٍ بها ادبٌ لارباب الخواطر
تلقى الذين سمعتَ في ال تأريخ عنهم والدفاتر
وترى ضروبَ عوائدٍ وملابسٍ عبراً لفاكر
رفعوا لصوت الحق في اوطانهم اعلى المنابر
وأضا لهم صبحُ اليقيـ ـنِ وباتَ ليلُ الشكِّ دابر
وعلى التساوي في الحقو قِ مشى الاكابر والاصاغر
ساروا على نهج العدا لةِ لم يطيقوا حكم جائر
نقضوا مباني المستبدّ ـين العُتاة ذوي الكبائر
ممن يسوم الناس خسـ ـفاً ليس تزجرهُ الزواجر

جعلوا التقدم في الأمو ... ر لكلِ ندبٍ لا يخامر
وتبرأوا سقياً لهم ... من كل محتالٍ وماكر
وعلى الولا وتقدّم الا ... وطان قد عقدوا الخناصر
واتوا بكل غريبةٍ ... اعيت وحقكَ كلَّ ساحر
لو شامها اليونانُ والـ ... رومانُ اربابُ المآثر
او اهلُ مصرَ الاقدمو ... نَ ذوو المعارفِ والمفاخر
لرأيتهم خرّوا الى الا ... ذقانِ للرجلِ المُعاصر
وزكنتَ معنى القولِ كم ... تركَ الاوائلُ للاواخر
ما أنْ تحيطَ بما أتـ ... ـهُ علومُهم ابياتُ شاعر
ذا شأنُهم اضحى وأذ ... تَ غدوتَ تسحبُ ذيلَ عاثر
تلهو ببعض خزعبـلا ... تٍ والتستُّرُ منك ظاهر
تُخفي الاسى واللهُ يعـ ... ـلمُ ما اكنَّتهُ الضمائر
وتقول حكمُ مقدّرٍ ... وعليه قد امسيتُ صابر
يا أيُّها المغرورُ مـا ... ذا القول الا قول خاسر
تعزوا الى الاقدارِ حكـ ... ـماً من فعالكَ كان جائر
واللهُ ليس يريدُ شر ... اً بالانام وليس غادر
هذا الخنوعُ وذا الخمو ... لُ وكلُّ جبنٍ فيك خادر
حقاً شهودٌ عُدَّلٌ ... نمّت عليك بها الظواهر
إن عن حقوقكَ نمتَ فاء ... لم لن يكون سواك ساهر
واذا ظُلمتَ فما لظلـ ... ـمكَ غيرُ عزمٍ منك ناصر

بالجهل بتٌ لدى الملا مثلاً من الامثال سائر
فيقال زيدٌ قد حكى في جهلهِ بعضَ البرابر
قوم لهم يُنمى الصَغا رُ فهم لذا القومُ الاصاغر
بسوى التفرّق والتحا مل لا تطيب لهم خواطر
وتمسّكوا جهلاً بأء راضٍ وقد تركوا الجواهر
حَسَدٌ واحقادٌ بها يتفاخرون على المُفاخر
وتباغضٌ وتباعدٌ في ذاك كلٌّ بات فاكر
وبما جنت ايديهمو ما أنْ لهم في الناس عاذر
دارت علينا يا لصح بي في الورى شرُّ الدوائر
من نام عن طلب الحقو قِ فانهُ وابيك خاسر
يا ليت قومي يذكرو نَ فلم يخب في الناسِ ذاكر
اوليتهم ساروا على منهاج اجدادٍ هُزابر
فهمُ الألى في العلم اضـ حى صيتهم في الافق طائر
وهمُ الألى بالحزم قد بلغوا العُلا والحزمُ ظافر
وهمُ الألى فتحوا المما لكَ فتحَ غلابٍ مثابر
طرقت حوافر خيلهم اقصى البوادي والحواضر
وجنودهم دكت حصو نَ الغابرين من الجبابر
وبأسهم قد دوّخوا دولَ القياصر والاكاسر
وعنت لهيبتهم ملو كُ الارض والامم الغوابر
فمتى ارى الوطن المفدّ ى عن محيّا الفضل سافر

ومتى توافي بالاما ني لي بواكير البشائر
هبّوا الى طلب المعا لي فهي تهدي كل حائر
وتشبّهوا ان لم تكو نوا مثلهم فالفرق ظاهر
ومليكنا عبد الحمي د لكم معينٌ بل مظاهر
ملكٌ اليهِ تنتمي كلّ المحامد والمآثر
مَلكٌ لديهِ كل ذي حزمٍ وعزمٍ بات صاغر(١)
لم تلقَ الاّ حامداً منا اياديه وشاكر

سنة ١٨٩٤

واهدى الى الصديق الفاضل قسطاكي ضاهر رحمه الله رسائل ابي بكر الخوارزمي فترجم منها جانباً الى الطليانية واهدى اليه نسخةً منها مطبوعة في جينوى حيث كان مقيماً فكتب اليه

يا عشيرَ الصبا الكريم السجيه لكَ عندي عهودُ ودٍّ قويه
كلما بتُّ والكتاب سميري أتهجّى ايامنا المدرسيّه
يا خليلي اذا ذكرتُ انتَ عهداً لي على ذكره دموعٌ سخيه
بعُدتْ تلكمُ الليالي وحال الـ بينُ ما بيننا ولاحت ضحيه
بات ذاك الفُتيُّ امسِ ابا شيـ رينَ او اختها الحُديثى عليّه
قد اتته عرائسٌ منك كانت تتهادى بكسوةٍ عربيه

(١) كتب الى ناظمها العلامة المرحوم عبدالله المرّاش وكانت بينهما صداقة وكيدة عند اطلاعه على هذه القصيدة قد احسنت غاية الاحسان بهذا البيت فهو اقصى الذم لهذا الطاغية

فغدت من كمال فضلك تزهو بثيابٍ غريبة اعجميه
لو رأى من به خوارزمُ باهت حسنها قال هذهِ جينويه
فلك الحمدُ حقّ صنعك هذا فهو صنع الاديب ذي الالمعيه
وعليك السلام مني ما تر جتَ سفراً وما ذكرتُ هديه

وكتب على صورته

رسومنا تفنى واجسامنا تبلى وهذي سنّةُ الكونِ
وليس يبقى غيرُ اثارِنا مَن لي باثارٍ بها صوتي

ميلادُ الربيع (١)

انتَ مَن يا من على تلك الدِ مَنْ يذرفُ الدمع ويستبكي الطلولْ
كم تناديها ولو اصغت لِمن جاءها مستنطقاً كانت تقولْ

عدِّ عن جهلكَ يا هذا الغبي

كُنْ سواراً او قريطاً او جرير او زُهيراً او اياساً او هلالْ
او ابا النشناش والجمعَ الغفيرْ من ملوك الشعرِ ارباب المقالْ

كلكم يفعل افعال صبي

تندبون الربع او بيت الشعَرْ او خيالاً زار ليلاً ورحلْ
او حصاناً او بعيراً قد نَفَر تضعون الدرَّ في عنق الجَمَلْ

وخسيسَ الترب فوقَ الذهبِ

---

(١) وهو مما نشر في مجلة الضيآء

منذُ الفي سنةٍ بل ضعفها دأبكمْ ترديدَ هذا النَغمِ
تلك حالٌ حسبُنا في وصفها حال قومٍ سلكوا في الظُلمِ
واضاعوا وقتهم في اللعبِ

ذاكَ او يقربُ منهُ ما رواهْ عنكمُ التأريخُ في فنِ القريضْ
قد جريتم كلَّ شوط في مداهْ ولكم في نظمهِ جاهٌ عريضْ
من نسيب او مديحٍ كذبِ

وعن التنقيب اعرضتم سوى ما اتى من مثَل او قافيهْ
وعظيم الكون مع ما قد حوى من اعاجيب شُؤنٍ خافيهْ
لم يكن فيهِ لكم من سببِ

فكفى التشبيبُ والفخر الممل ودعاوٍ عابها اهلُ الحلومْ
واسمحوا ان يقتدي هذا الجُقل ببني الافرنج ارباب العلومْ
واسمعوا ما قالهُ في حلبِ

* * *

عزَّ بين الجوّ والارضِ الوئامْ لاختلاف الرأي في وضعِ الربيعْ
حين رامت امهُ قبل التمامْ وضعَهُ اذ جاءها الطلقُ السريع
فبدا في الجوّ فرط الصَخَبِ

زعمَ الوالد انَّ الامَّ قدْ مَسَّها العجزُ على مرِّ السنينْ
ولفقد الصبر منها والرَشَدْ قد سعت عمداً لاسقاط الجنينْ
فقضى حالاً بشجب المذنبِ

قال هـذا الطلقُ زورٌ ولذا ارشقُ الحبلى بثلجٍ وبَردْ
فيموقُ الوضعَ متها واذا ما أصرَّتْ هلكت قبل الولدْ

قتلُ من يقتلُ شرعُ الكتُبِ

قالتِ الامُ الى كم تفتري ايُّها الظالمُ والحقُّ صريحْ
وبدت تروي صحيح الخَبرِ بلسانٍ ينطق القول الفصيحْ

معربٍ عن اصل هذا اللجَبِ

حدِّثت قد كنت من عهدٍ عهيدْ طفلةً اسرحُ حول الوالدهْ
ظاهري كالقلب في وقدٍ شديدْ جذوة من قبل أُلفى جامدهْ

كُرةً تسبحُ بينَ الشُهُبِ

فتصبَّانيَ ذا الجوُّ الكنودْ وباحكامِ الهوى جارَ عليَّْ
فهو طوراً نافرٌ عني شرودْ وهو طوراً هائمٌ يصبو اليَّْ

وهو احياناً شديدُ الغضبِ

منهُ لي بعلٌ كثيرُ النَزقِ سيءُ الخَلق شديدُ الفرعنهْ
ولهُ منيَ ذاتُ المَلَقِ تلدُ الغرّانَ في كل سنهْ

مُرضعٌ لم تشكُ مضَّ النصَبِ

والصبى ما زال لي نعمَ الرفيقْ وجمالي زائدٌ عاماً فعامْ
وعفافي منهُ بالحبِّ خليقْ لو على عهدِ الوفا حقاً اقامْ

او وعى ما سنَّ شرعُ الادبِ

وفؤادي ما لهُ غير الانينْ كلما اومض برقٌ من بعيدْ
وعيوني يطلقُ الدمع السخينْ بعضُها والبعض يجري كالجليدْ
لدواعي حزنٍ او طربِ
وانا احمل منهُ ذي الفعالْ برضىً شأن كرامِ الانفسِ
ولئن خالف في هذا الدلالْ ما قضى شرعُ الغرامِ الاقدس
باحتكام الغيدِ عند النُجُبِ
لم ابحْ يوماً بتبريحِ هواهْ لا ولم اشكُ الضنا الاَّ اليهْ
وهو ما زال مُجدًّا في جفاه حاسباً انَّ حياتي في يديه
سآء ما ظنَّ وربِّ الغَلَبِ
ثم صاحت بلغ السيلُ الزُبى وغدت ترجف من زلزالها
وبدت نثراً على تلك الرُبى تقذف النيران من اجبالها
فهي تجري مثل سيل السُحُبِ

* * *

عند هذا نهضت اترابُها والدُجى تخبرُ عن اسرارها
سبعةٌ قد شوهدت اسرابُها من بنات الشمس مع اقمارها
وفريق من ذوات الذنبِ
درنَ حول الامِّ لكن بانكسارْ قلنَ يا امَّاهُ ما هذا المصابْ
أختنا الارضُ عليها الجوُّ جارْ فانصحيه وانذريه بالعقابْ
واسعفيها ببلوغِ الاربِ

* * *

فاستوت ذاتُ الجمالِ المُسفرِ فوق عرش النور في برج الحَمَلْ
ثم خطّتْ بالشعاعِ الانورِ للتي قد سئمت طول الحبَلْ
أنْ ضعي الطفلَ قُبيلَ العَطبِ

واعلمي انَّ التردّي بالسخَطْ صفةٌ يُرغبُ عنها في الحسانْ
وهي عند الكلِّ عيبٌ وشطَطْ ليس في الطاعةِ للبعلِ هوانْ
وهي زينٌ لذواتِ الحَسبِ

ثم قالت ايها الجوُّ الجهولْ انت بالهجران ايضاً مسرفُ
فقويُّ النوعِ مطواعٌ حمولْ للنسا اذ هنَّ طبعاً اضعف
ذاكَ فضلاً عن حقوقِ النسبِ

قمْ فعانقْ عرسَكَ المكتئبهْ فلقد اودى بها طولُ الشجنْ
وتدارك مهجةً ملتهبه منكَ ذاقت كلَّ انواعِ المحن
واسعدنها بانفراج الكربِ

* * *

فحباها بنسيماتِ الصبا واتاها نادماً عما مضى
وتدنى خاشعاً منتحبا يستميح العفوَ منها والرضى
بجاري دمعهِ المنسكبِ

* * *

عند هذا برزَ المولودُ في حللٍ تزري بابهى سندسِ
وببدعٍ سرّهُ لم يختفِ صُبغت حتى بدت كالاطلس
بضياءِ الشمسِ امّ العجبِ

وغدا يبسمُ عن نَورٍ بدا مثلَ درٍّ فُتَّ فيه الذهبُ
مذ رآهُ بلبلُ الحيِّ شدا باغانٍ ما شداها مُطرب
فخلا من غُمَّةِ المكتئبِ

والهنا عَمَّ جميعَ الكائناتْ فدعت للشمس بالعمرِ المديد
بمعانٍ ولغىً مختلفات لا يفيها وصفها الا مجيد
ينظمُ الشعر بلفظٍ عربي

٢٥ اذار سنة ١٨٩٩

آيةُ الله الكبرى

عرَّبها عن قصيدة فرنسوية للشاعر الفرنسوي جان رامو

بعد خلقِ الاكوان خلقاً بديعا وانكشاف الرقيع يزهو رفيعا
وبروز الجبالِ ما بينها الأُز هارُ تنسابُ جفراً وربيعا
وظهورِ الازهار قد احكمت تط ريزها إصبَع تجُيد الصنيعا
رفسَ اللهُ ارضنا فغدت دا ئرةً في الفضاءِ دوراً سريعا
ثم صاغ الانسان خلقاً سوياً عاقلاً ناطقاً بصيراً سميعا

* * *

واراد الالهُ أنْ يُريَ الانـ ـسانَ ما صاغهُ تعالى جميعا
فتدنى وقادَهُ شبهَ جبًّا رٍ عظيمٍ يقودُ طفلاً رضيعا
واراهُ البحارَ تحكي مروجاً والندى في الرياض يحكي دموعا
والوفاً من الازاهر ان حا ولتُ وصفاً لها فلن استطيعا

عندها طارَ لُبُّهُ وغدا من حسنها والهاً سليباً صريعا
وتمنى لو ظل بالقرب منها راتعاً كلما احبَّ الرتوعا
وانحنى والفؤاد يخفق منهُ وجنى وردةً وسار هلوعا

* * *

ورأى اللهُ بعد ذا أنْ يُري مَخ لوقهُ منظراً يُنسّيْ الربيعا
فمضى سائراً بهِ في جبالٍ ترهبُ الطيرُ من عُلاها الوقوعا
ثم قال اجتلِ الخلائق هل تُبـ صرُ شيئاً منها فهبَّ مُطيعاً
وجرى منهُ رائد الطرف لكن حاسراً ردَّ واستحبَّ الرجوعا
ورأى حولهُ جبالاً من الثلـ جِ اكتست بالبياض لوناً نصيعا
فمشى نحوها ورصرصَ منها كتلةً ظنَّ اخذها ممنوعا
وغدا مُعجباً بملمسها الغضِّ وزادتهُ بالبياضِ ولوعا

* * *

ثم قال الرحمانُ قد حان أنْ تنـ زلَ فالليل جاء يجري سريعاً
ونجوم السماءِ قد ظهرت أنـ وارها في الظلامِ تحكي شموعا
ورآها المخلوقُ فاهتزَّ لا بل ودَّ لو يرتقي اليها طلوعا
فمدا قافزاً ومدَّ يديهِ نحوها آملاً شجيعاً جزوعا
وانثنى ممسكاً بنجمين مسرو راً بما حازهُ شكوراً قنوعا
ثمَّ حطَّ النجمينِ والثلجَ والور دةَ وامتدَّ واستطابَ الهجوعا

* * *

وابتغي اللهُ وهو ذو الفضل انْ ينـ ـظرَ مخلوقهُ المطيعَ الوديعا
بالغاً منتهى السعادةِ كي يُنـ ـسيه فردوسهُ وتلك الربوعا
فرأى ان يصوغ هيئةَ لطفٍ تجمعُ الظرفَ والجمال الرفيعا
فاذا ما استفاقَ مخلوقهُ أبـ ـصرَ فيها الذي جناهُ جميعا
فقضى باجتماع ذلك طرّاً فمنَ الثلج صاغ جسماً بديعا
ومن الكوكبين عينين قد أو دعتا السحر والهوى والولوعا
ومن الوردةِ الانيقةِ خدّاً قد اتمَّ الخلاقُ فيهِ الصنيعا
فبدت آيةً بجوهرِ حسنٍ رصّعتها يمينهُ ترصيعا
تلك حوآء فتنةُ الكون اضحى قلبُ هذا الفتى اليها نزوعا

حزيران سنة ١٩٠٠

وقال في يوم انسٍ في بستان

انَّ الحبيب الذي لسنا نُسمّيهِ وكلُّنا بنفيس النفس يفديهِ
ما أنْ يُرى حائماً الاّ على قدحٍ ولا يُرى حاملاً الاّ قنانيه

وقال وقد اقترح عليه احد اصحابه من اسرة الغنام نظم تأريخ لينقش على ضريح عزيزة لهم اسمها نسيبه

من اسرةِ الغنّام ذاتُ صيانةٍ اودى بها سهمُ المنون رطيبهْ
لم تتخذ غير الفضائل مذهباً وسوى الشريعة رايةً وحبيبه
كانت عزيزة قومها لكنَّها باتت لامرِ الله خير مجيبه
في جنة الغفرانِ قد ارختُها نالت نصيب الصالحاتِ نسيبه

سنة ١٣٢١ هجرية

وطُلب اليه تعريب البيتين الآتيين فقال على البديهة

Beaux astres fleures du ciel dont le lis est jalou
J'ai murmuré tout bas que ne suis je un de vous.

وانتِ يا كواكبَ السماءِ بل انتِ يا ازاهرَ الفضاءِ
قد اكتسى الزنبق بالحياءِ من وجهكِ الاغرّ ذي السناءِ
كم قلتُ همساً مخلصَ الدعاءِ يا ليتني قد كنتُ في الظلماءِ
أُعطيتُ ما أُعطيتِ من بهاءِ

الغاوية

برزت في مظهر الحسن لنا آيةً انزلها ربُّ الجمالْ
غادةٌ في لحظها كلُّ المُنى تفتنُ الناس بانواع الدلال
كم لها ما بيننا صبٌّ عميد

سلبت من صبّها كلَّ النُهى فهو منها هائمٌ في كل وادْ
وهي تبغي كلَّ يومٍ مشتهى ولها الفُ مرامٍ ومراد
اين منها ما يُرجّي ويريد

خالَ انَّ القلبَ منها مُرتهنْ في هواهُ فهيَ لن تبغي سواهْ
فرأى الطاعة من خير السُنن لقضاها فازدرى مالاً وجاه
من طريفٍ قد حواهُ وتليد

* * *

فهيَ يوماً ثوبَ ديباجٍ تروم وهيَ يوما تشتهي بعض الحُليْ

ولقد توشكُ ان تهوى النجومْ كلُّ ممنوعٍ بعينيها حَلي
من مفيدٍ كان ام غير مفيدْ
وهي حيناً ذاتُ صدٍّ ونفارْ وهي حيناً في الاماني تُطمعُ
وترى حيناً معاطاة العقارْ وهو غيٌّ ليس عنهُ ترجعُ
فيرى السكرَ وقد كان رشيدْ

وتقولُ اليومَ ميعادُ السباقْ وبهذا الليلِ رقصٌ ولَعبْ
وغداً يومُ اصطباح واغتباقْ ومساءُ الغدِ فيه ننتهبْ
حظَّ ساعاتٍ بعمر الدهرِ عيدْ
والى الالحان تصبو وهي في ساعةِ الانسِ تثيرُ الوَلها
واذا ما وعدت ليس تفي ولها بالصبِّ مكرٌ ولها
كلَّ يومٍ مطلبٌ غالٍ جديدْ

* * *

وهو من سكرِ هواها في جنونْ ليس يثنيهِ كلامُ الناصحينْ
واليهِ حدَّقتْ كل العيونْ وهي تستغوي عقول الناظرينْ
بابتسام او بغمزٍ من بعيدْ
قد جرى متّبعاً داعي الغرورْ لا يرى في حبها عيباً يَصمْ
حاسباً انَّ نهاراً لا يدورْ وهو بالساعدِ منها معتصمْ
يومُ بؤسٍ ما عليهِ من مزيدْ
ثمَّ لما علمت ان الفتى قد اضاع العرض فيها والذهبْ

غادرتهُ ومضت قال متى ترجع الظبيةُ قالت ان وهبْ
ربُّك الثروةَ والعيش الرغيدْ

* * *

هكذا قد ودَّعتهُ الغاويهْ بعد أن بذَّر فيها ما مَلكْ
صاح لما أن رآها ناويه من رأى ابليس في ثوب مَلكْ
اتلفت مالي وها عقلي شريد

تركتهُ في بكآء وعويلْ ما رآهُ شامتٌ الاّ بكى
ومضت تصطادُ للوقت خليلْ وتنادي انَّ مَن منّا اشتكى
عُدَّ بين الناس مجنوناً بليدْ

ظنّ هذا الغرُّ غمزي بالعيونْ وابتسامي من جراهُ وله
ليس يدري أنَّ هاتيكَ الفنونْ حيلةٌ يحسبُ فيها وصله
قصدنا والمال مقصودٌ وحيدْ

ليت شعري كيف نهوى ثمَّ مِنْ اينَ للغاداتِ عهدٌ وذمامْ
او ثباتٌ والى مَن نطمئنْ ولنا في كل يومٍ مستهامْ
نتصبَّاهُ وممالولٌ طريدْ

نحن ربَّاتُ الهوى ليس لنا اربٌ الاّ بلبسٍ وقصوفْ
جاهلٌ من ظل يرجو وصلنا ورضانا بعد تبذير الالوف
وخلوِّ الكيسِ من غنم جديدْ

وامرؤٌ يحسب انَّ الغاوياتْ قد بقي فيهنَّ للحبِّ شعورْ

ذاك مغرورٌ فما بعد الممات لحياة العشقِ يوماً من نشور
وقلوب الغيد حقاً من حديدْ
حكمةٌ بل عبرةٌ للمعتبرْ صُوِّرَت باللفظ في ثوبٍ رقيقْ
تتجلى بالضياءِ المنتشرْ لبصيرٍ تخذَ الحقَّ رفيقْ
وكفى بالعقل خلاً ورشيدْ

سنة ١٩٠٠

الغانية

بينَ هاتيكَ المغاني والقصورْ تركَ القلب رهيناً ورَحَلْ
في هوى غانيةٍ تحكى البدور غَنيت عن كل صبغٍ بالكَحَلْ
وعليهِ وقفت قلباً امينْ
كان من امرِها ان الفتى بينما قد كان في روضٍ يدورْ
شاهد الحسناءَ ترنو فاتى قربها يحسبها ذات غرورْ
دأبها صيدَ قلوبِ العالمينْ
فأجالت فيهِ طرفاً طاهرا شفَّ عن قلبٍ تسامى بالعفافْ
فرأتهُ ناظراً بل حائرا فتولّت عنهُ اذ باتت تخاف
كلمةً منهُ لها يندى الجبينْ
فغدا ينظر من طرفٍ خفيّْ ليرى وجهتها ثم القرارْ
فرآها قد مشت لم تعطفِ نحو كهلٍ ذي جلالٍ ووقارْ
كان يرعاها بعين الوالدينْ

ثم قاما عجلاً وارتحلا فمضى والقلب منهُ في ضرامْ
ورأى انَّ الذي قد املا في جبين الليث اذبنتُ الكرامْ
نُزِّهتْ افعالُها عما يشين

* * *

وانقضى من بعد ذيّاك اللقا زمنٌ بالقرب للصب سمحْ
والى نهب السرور انطلقا راكباً متن جوادٍ ما جمحْ
عن طريقِ الحلِ والطهر المبينْ
وغدا بعلاً لتلك الغانيه بعد ما كان رأى من صدّها
لم يكن يصبرُ عنها ثانيه ولهُ قد كان اقصى ودّها
وبناتٍ رُزقا ثم بنينْ
والهنا كان حليفاً لهما ورقيب الحظ في برج السعودْ
والصفا عن امرهِ حولهما قائمٌ قد ذرَّ في عين الحسودْ
غُبرةً تدفع كيد الماكرينْ
وهي ان قال لها هذا اللبنْ اسودٌ قالت شديدُ الحَلَكِ
واذا ما أرقتْ عاف الوسنْ ويرى فيها عفافَ المَلَكِ
وتراهُ خير خلٍّ وقرينْ
ونداء الطفل في مسمعها مثل تغريد هزارٍ او غناءْ
والتحلي ليس من مطمعها وترى ترتيبَ بيتٍ والعناءْ
في صلاح الولدِ للحسنا يزين

وتَقضّي الوقت من بعد الطعامْ مع زوج ينتقي احلى السيَرْ
في حديثٍ قد حكى صفو المدام خاليَ الكاساتِ من كل كَدَر
فهيَ معهُ في هناءٍ كلَّ حين

* * *

لكن الايامُ والغدرُ لها شيمةٌ معروفة عند الكرامْ
قد رمت من بعد يسرٍ بعلها تحت اعباءِ ديونٍ لا تُرامْ
فاذاقتهُ نِكال الماردين

فغدا والدهر قد اخنى على ماله رهنَ خسارٍ وفشَلْ
وانثنى من بعد ربح املا قانعاً مما تمنى بالوشَلْ
فتراهُ باسماً وهو حزين

وهيَ من ذلك تخفي الكمدا ولها قلبٌ عليهِ في قلقْ
ولكلّ الناس تبدي الجلَدا ولهُ تبذل انواعَ الملَقْ
علَّها تسليهِ عن كل ثمين

فاذا ما قال قد جاءَ الشتا قالت الملبوسُ عندي في مزيد
واذا قال لها الصيف اتى وارى ان تشتري ثوباً جديد
قالت الاسرافُ شأنُ الجاهلين

انَّ ثوباً انتَ تستحسنهُ ختمَ الزيُّ به في ناظري
ومكاناً رحتَ تستوطنهُ جنةٌ قد هامَ فيها خاطري
والذي تقضي به عنديَ دين

والذُّ العيشِ عندي ان اراكْ في سرورٍ يا حبيبي وهناءْ
وانشراحي واغتباطي في رضاكْ وسوى ذلك عندي كالهباءْ
وجمالُ الكونِ لي منكَ يبين

سنة ١٩٠١

وكتب من القسطنطينية الى الشيخ احمد الخوجه رحمه الله وكان ظريفاً على حصةٍ من الادب متجاوزاً حدود الذكاء حسن الذاكرة مزّاحاً خفيف الروح أِلف دَهن رأسهِ ووجههِ ويديه بالحامض الفحمي يزعم بذلك اتقاء العدوى من الامراض .

سلامٌ على شيخ المشايخ احمدِ سلامٌ على الخل الحبيب المقدَّدِ
على مفردِ الدنيا على معدنِ الذكا على اصدق الاحباب في القرب والبعد
على ذلك الوجه المغسّل بالحيا وحامض فم يزدري ابيض القند
على جامع اللطف الخفيّ وسدرة الـ وفا ومقرّ الوحي وحيِ ابن عجرد (١)
على جبّةٍ ما قد تكفنّ قبلهُ بها ذو حياةٍ وهو كالاسدِ الورد
على طاهرِ الاذيالِ ذيلِ قميصهِ وتُبّانهِ والطيلسانِ مع البند

الحسود (٢)

لستُ انسى عهدَ ليلٍ قريبْ زارني فيه خليلٌ اريبْ
يُحسنُ الوصف بحذقٍ عجيب ولهُ في الشعر ذوقٌ سليمْ
بات يروي لي غريب السَمَر فكأني سامعٌ للنديمْ

* * *

(١) خارجيٌ كان ادعى النبوة (٢) وهو مما نشر في مجلة الضياء

قال لي جارٌ حسودٌ غيورْ ابداً من حول ختلي يدورْ
حرت في استعطاف هذا النفورْ لم اكن اعلمُ أنَّ اللئيمْ
حاسدٌ لي فهو حيثُ استقرْ لذوي الفضل عدوٌ خصيمْ

* * *

فسعى بي عند قاضي البلدْ زاعماً اني شديدُ اللددْ
ليسَ ينجو من لساني احدْ فان استحسن رأياً قويمْ
فليكن بالسجن او بالسَفَرْ قاضياً فالذنبُ ذنبي عظيمْ

* * *

فرأى القاضي الحكيم الوزينْ أنَّ بتَّ الحكم قبل اليقينْ
ليس حزماً من بصير رصينْ فدعاني شأنَ قاضٍ حليمْ
كي يرى صحة ما قد هذرْ ذلك الوغد الحسودُ الذميمْ

* * *

وحكى ما عدَّد المفتري من ذنوبٍ انا منها بري
ودعا من كان في المحضرِ لاستماعي بعد قول الغريمْ
فاشرأبَّ الجمعُ ممن حضرْ ليراني ايَّ قردٍ ذميمْ

* * *

قلتُ يا ذا الحاكمُ العادلُ قد وشى بي عندكَ العاذلُ
ظنَّ هذا الحاسدُ الجاهلُ حطَّ قدري بعلاهُ زعيمْ
فابتغى ثلبي وكيدي نَذرْ وهو ينوي الشرَّ لي من قديمْ

* * *

والذي اوجب منهُ الضَغَنْ ليلةٌ مرّتْ لنا في الزمنْ
مع صحبٍ من كرام الوطنْ اطرأوا نثري وشعري النظيمْ
ثم قالوا انت ربُّ الغُررْ فصف الجاهلَ ثمَّ العليمْ

* * *

قلتُ ربُّ الجهل من يذهبُ وهو في تخليطه مُعجبُ
أنَّ جُدَّ الناس اذ يُنسَبُ نسلُ قردٍ وهو نعمُ الحميمْ
فانظروا يا خيرَ اهل النظرْ كيف عارُ الجهلِ عارٌ عميمْ

* * *

ثم اذ كنتُ اسوق الحديثْ قد تصدّى ليَ هذا الخبيثْ
قائلاً هذا كلامٌ غثيثْ باردٌ في جنب قول الحكيمْ
قلتُ من ذاكَ وماذا ذكرْ قالَ ان الفكر مني عقيمْ

* * *

فانبرى من كان في المجلسِ من كرامِ الاصلِ والانفسِ
لحسودٍ فاسدِ المغرسِ ورمـوهُ بالملام الأليمْ
ثم قالوا لا يعيب القمرْ نبحُ كلب وهو بدرٌ تميمْ

* * *

عند هذا شقَّ ذاك الزحامْ يافعٌ كالغصن غضّ القوامْ
ثم نادى بفصيح الكلامْ إي وربِّ العرشِ هذا الرجيمْ
حاسدٌ يفسدُ بينَ البشرْ بل عدوٌ للنبيل الكريمْ

* * *

كنتُ اهوى ذات طرفٍ كحيلْ ما لها بين الغواني مثيلْ
وهي لا تختارُ مني بديلْ فوشى بي ذا الحسود الكظيمْ
فارتني من جفاها سقَرْ بعدما قد كنتُ ارجو النعيمْ

* * *

بعد هذا قام شيخٌ جليلْ من ذوي القدر النبيه النبيلْ
قال لا بدع لوغب ثقيلْ غار من هذا الغلام الوسيمْ
بل عجيب كيف بي قد غدَرْ حاسداً حرمة شيخ هشيمْ

* * *

ذاك اني زرتُ يوماً صديقْ هو عندي بمقام الشقيقْ
فاحتفى بي كالمحب الشفيقْ واقتفاهُ كلّ حرّ صميمْ
كان في مجلسهِ المعتبرْ حرمةً للسن او للزعيمْ

* * *

وعقيد اللوم هذا الحسودْ كان يرميني بعينِ الكنودْ
فغدا يهزأ بين الشهودْ بي كأني في ضلالٍ اهيمْ
يومَ الاصحاب ان الكبَرْ لم يدع لي غير لبٍ سقيمْ

* * *

وانا اعجب من فعلهِ وازدرا قدري من مثلهِ
دون ذنب لي سوى جهلهِ فرأيتُ البعد عن ذا الئيمْ
خيرَ ما يفعله ذو الحذرْ فهو للفضل غريمٌ خصيمْ

* * *

وهو ان قيل فلان رَبحْ قال هـذا خبرٌ لم يصحْ
وتراهُ لو نُفى او ذُبح لا يرى ذلك رزءاً جسيمْ
مثل ما لو جئتهُ بالخبرْ عن غنىً احرزتهُ او نعيمْ

* * *

واذا استرضيتـهُ يغضبُ واذا صدّقتَهُ يكذبُ
وهو ان اطربتَهُ يندبُ حذراً من ان يُسرَّ الكليمْ
فسرورُ الخلقِ لا يُغتَفرْ عند هذا المتعدّي الاثيمْ

* * *

عندَ ذا نادى بهِ الحاكمُ ايُّهذا الحاسدُ الظالمُ
ما لِما قدَّمتَه راحمُ قد قضى الشرعُ المنيفُ الكريمْ
قتلَ من يؤذي لكي يعتبرْ ان في قتلك اجراً عظيمْ

سنة ١٩٠١

يوم عيد فى الجنة

قال عرّبتها عن قصيدة فرنسوية ونشرتها مجلة الضيآء

للهِ ربِّ العرشِ والاكوانِ فِكرٌ تفوتُ تصوّرَ الانسانِ
ولقد اتاهُ ذاتَ يومٍ خاطرٌ رقصت لهُ الجنات بالسكانِ
فاقام في اسمى قصورِ جنانه عيداً لهُ سجدتْ ذوو التيجان
ودعا اليهِ وهو اكرمُ من دعا غيدَ الفضائل زينةَ العمران
لكنَّهُ ساوى الجميع وربما فاق الصغارُ الكُبريات الشان

فسلكنَ في لطف التحية مسلكاً ... يزري على النسمات في الاغصانِ
وجميعُهنَّ جرينَ جريَ قرائبٍ ... وشقائقٍ في طاعةِ الرحمانِ
ونهلنَ كاسات الولاءِ وقد تبا ... دلنَ الحديثَ تبادلَ الاقرانِ
لكنَّ ربَّ القصر جلَّ جلالهُ ... اذ كان ينظرُ نظرةَ العرفانِ
لمحَ اثنتينِ كأنما احداهما ... لا تعرفُ الاخرى فتأتلفانِ
ولعلمهِ بطريقهِ البشرَ الأُلى ... بلغوا من العمرانِ خير مكانِ
مدَّ اليدينِ اليهما متناولاً ... يدَ كلِّ خودٍ منهما بنانِ
والى اليمين اشار وهو يقول ذي ... في الارض تُدعى ربَّةُ الاحسانِ
واشار للاخرى وقال وهذهِ ... تُدعى كذلك ربَّةَ الشكرانِ
فتفرَّس الاختانِ كلٌّ منهما ... في اختها كتفرّسِ الحيرانِ
اذ منذُ خلقِ اللهِ دنيانا الى ... ذا اليوم لم تتواجه الاختانِ

سنة ١٩٠٢

الزوجانه فى الشيخوخة

قال الناظم عرّبتها عن اللغة الفرنسوية للشاعرة اللطيفة قرينة ادمون روستان الكاتب الشاعر الفرنسوي الشهير وهو الذي ربح من روايتين الفهما من عهد قريب مليوناً وثماني مئة الف فرنك (كانت يومئذٍ من الذهب الوهاج لا من وريقات يتقزز منها التاجر بل الخبّاز بل المحتاج) فلا بدع ان نطقت قرينتهُ بعد هذا بمثل هذا الشعر ، وزخر بحر قريحتها بنفائس الدر ، وابتكرت لهُ سلكاً لم يوثق باقوى منه صدق العهود ،

وانّ امّة تبذل مثل هـذا المال ثمن كتاب او كتابين ، لجديرة بأن يستخرج لها العلم معادن الذهب واللُجَين. وهذا هو التعريب .

يا حبيبي انتَ لي كلُّ المرادْ تِهْ على قلبي بانواع الدلالْ
كلُّ مرٍّ منكَ حلوٌ في الفؤاد ولكَ الحب بقلبي لن يزالْ
وبهِ يزدانُ شعري المبتكرْ

سوفَ اهواكَ وان بُدّلتُ من شعريَ الاشقر يوماً بالمشيبْ
وسأهواكَ وان عُوضتَ عن قدّكَ الميّاسِ كالغصن الرطيبْ
بانحناءِ الظهرِ يوماً والكبرْ

وسأجري معكَ في شوطِ الغرامْ مثلما كنا فتاةَ وفتىّ
فنقيل الصيف في روض الخزامْ فهو يروي ما جرى من مقلتيّ
عندما قبلتني اوّلَ مرّ

فاذا ما ادفأت شمسُ المصيفْ بردَ اعضاءَ تولاها الرعَشْ
رقص القلبان للحب الطريفْ فتخيلنا الصِبا منا انتعشْ
عائداً يروي لنا عهد الصغَرْ

وترى رأسك ما بين يديّ وارى شعرك كالقطن البديعْ
واذا حدقت بالعين اليّ سترى من مبسمي خير شفيعْ
شافعاً باللثم في شيب الشعَرْ

كم لذاتٍ سنلقى عندما ننشرُ المطويَ من ذاكَ القديمْ

فلكم من مرّةٍ قلتَ كما قلتُ يا روحي وانسي والنعيمْ
ومُنى نفسي ويا شطري الابرّْ

واذا ما كان ذا الحبُّ الوطيدْ كل يوم لكَ مني في ازديادْ
فغدا اليومُ على الامس يزيد وهو دون الغدِ يا ملك الفؤاد
فغضونُ الوجهِ ذنبٌ مغتفرْ

وسنحكي في زمانِ الهَرَمِ كلَّ ما قد مرَّ في عهدِ الشبابْ
وعلى مرجٍ بسفح العَلَمِ كم بثثنا من شكاءٍ وعتاب
سوفَ نتلوها كما تُتلى السُوَرْ

وسيزدادُ غرامي بالوقارْ وتناجيني بتذكارٍ يطيبْ
فاذا همنا بذاكَ الاذدكارْ نسج الذكر لنا برداً قشيب
فنعمنا بعد عينٍ بالاثرْ

ولئن كنا سنمسي عاجزَينْ فسيزداد اعتصامي بيديكْ
وسيبدو كلُّ شيءٍ منك زَينْ لعيوني وصباباتي اليك
ليس يعرو صفوها يوماً كدَرْ

ولذا الحبِّ وماضيه العزيزْ وان اجتاز كطيف في المنامْ
في فؤادي ابداً حرزٌ حريز وسيحلو ذكرهُ عاماً فعام
لي كخمرٍ عتقها يصفي العكرْ

فانا أحرز ما اجمعُهُ من كنوزِ الحبِ احراز شحيح

املاَ في حصد ما ازرعهُ عندما يفضحُنا الشيب الصريح
حيث استغني بهذا المُدَّخرْ
فأرى عنديَ من عشق الصبا عُدّةً تنفعُ ايامَ الهرَمْ
ويُعيدْ الذكرُ عيشاً ذهبا ليَ بالانسِ فيحيي ما انصرم
وتناديني بيا كلَّ الوَطرْ

سنة ١٩٠٢

وقال مقرظاً كتاب نجعة الرائد تأليف حجة اللغة الشيخ اليازجي
وقد نشرته مجلة انيس الجليس ومجلة الشتآء

عوّذتُ باللهِ إمامَ العصرِ علاّمةَ الدنيا قريعَ الدهرِ
اليازجي الشيخَ ربَّ النثرِ من حاسدٍ وحاقدٍ ذي مكرِ
فأيّ بحرٍ من بحورِ الشعر لمَّا يغُصْ فيه للقطِ الدرر
وايَّ علمٍ ليسَ فيهِ يجري جريَ كريمٍ سابق في الكرّ
وايَّ لفظٍ كالنجومِ الزُهرِ لم يكُ طوعَ نهيهِ والامرِ
انشآوُهُ الفائقُ كلَّ حزر ذرى على البديع والمعري
كأنَّ مآء اللطف فيه يسري او انّهُ نسيمُ عرفِ الزهرِ
او الامامُ من شعاع الفجر صاغ عقوداً تزدري بالتبر
في كلِّ قول وبكلِّ سطر كم آيةٍ يوحي وكم من سرّ
يقول من يذوقُ ايَّ خمرِ يديرُ ابراهيمُ دون وزر
قد تركت اهلَ النُهى في سكر وضمّخت افواههمْ بالعطر

فايُّ درٍّ ليس في ذا البحرِ وايُّ فضلٍ ليس في ذا الحبرِ
وايُّ معنىً من معاني السحرِ يَندُّ عن استاذنا بالحصرِ
ان يرفع الملوك قصد الفخرِ مدينةً او معلماً للنصر
او يجمعوا لمجدهم في قصر زينة كلِّ بلدةٍ وقطر
او يُنعموا يوماً على ذي فقر بنعمةٍ قصد الثنا والشكر
فانما الاستاذُ قصدَ الاجر وبغية النفع الجزيل البرّ
بنى لاهل الفضل اغنى مصر في نجعة الرائدِ عدن الدرّ
بل جمع الدنيا لهم في سفر اضحى محيط بحرها والبرّ
مع جوّها الى النجوم الزُهر الى اقاصي ما جرىَ في فكر
فهو كتاب ما لهُ من نظر وما لهُ طيّ ليومِ النشرِ
يُبقي لقطبِ العلم فخرِ العصر ذكراً مجيداً يا لهُ من ذكر
ووصفُهُ فوق اقتدار قدري ومدحهُ فوق مقام شعري
فاللهُ يوليهِ مديد العمرِ فهو لاهل الفضل خيرَ ذخرِ

سنة ١٩٠٤

شباب الربيع

او

من حلبَ الشهبا الى اللُكام

عندما النور تدلى كالسجوفْ ورمت ذرّاتهُ قلب الظلامْ
وعرا البدرَ اكمدادٌ كالخسوف ونسيمُ الفجر نادى للقيام
نهضَ السائح يعدو للسفر

ولنيسانَ نشاطٌ وجمالْ ليس يحكيه سوى عصر الشبابْ
وسهول الدرب مع تلك التلال اصبحت من نبتها تحت نقاب
لم يَدُرْ في وشيهِ فكرُ بشر

فجرى صاحبُنا دونَ الخَبَبْ حائراً من حسن هاتيك النقوش
قالَ ما هذا أَدرٌّ ام ذهب ام لآلٍ نُثرتْ فوق عروش
ام نجومٌ ام ندىً مثل المطر

وهوَ بينا يقطعُ السهل الفسيح قد حكى بحراً تبدّت خضرتُهْ
نفحت ريحٌ بها ارواح شيح ماج منها النبتُ تزهو نَضرته
فهو موج النبت يُجلى للبصر

وعلى تلك الرُبى النور استبانْ بعد ما اردية الليل انطوتْ
مذ عروس الكونِ بل حسن الزمان ربّةُ النور على العرش استوت
وغدت تسحب اذيالَ الخَفرْ

عندَ هذا الارض ضجّت بالدعآءْ لمجالي حسنها فعلَ شكور
وغدت ناشرةً نحوَ العلآءْ من بخارِ الماءِ ما يحكي البخور
وتلت ازهارُها الحمدَ سُورْ

وهو طوراً يرتقي بعض التلالْ ثم يطوي تارةً بعض البطاحْ
ويرى حيناً رسوماً من طلالْ فتناجيهِ بالحاظٍ فِصاحْ
فيرى في نفسهِ بعض الضجرْ

فمدا حتى رأى بين النبات مثل برقٍ خالهُ نورَ قبسْ

وتلاهُ صيحةٌ كالقاصفات اجفلَ الفارس منها والفَرسْ
اسفرت عن سربِ طيرٍ قد نَفَرْ

وبدا عفرين(١) في وادٍ خصيبْ ساكناً يُحسبُ من سرعته
مثل مرآةٍ لها ضوءٌ عجيبْ هزّها في الشمس من فزعته
سارقٌ مستترٌ بين الشَجَرْ

ورأى للشمس في كبدِ السما لفحَ قيظٍ لم يخلهُ ممكنا
قال هذا اولُ العمقِ (٢) فما ذا يكون الحال في الصيف هنا
والى ناحية النهر انحدرْ

فاذا في جانب الماءِ مبيتْ قد غدا نزلاً لابناءِ السبيلْ
قال مَن فيهِ يَقل فهو بخيتْ ثم قادَ الطرفَ يأتمُّ المَقيلْ
فيهِ حيناً بعدما الجسر عبَرْ

* * *

حينما هبت نُسيمات المسا وتلاشت سورةُ الحرِّ العظيمْ
وتردّى الكون اثواب الاسى لفراق الشمسِ والبعدُ أليمْ
وحكت اذ غربت وجه القمرْ

ظهر البدرُ لهُ وجهٌ كئيبْ من محل الشمسِ إبّان الشروقْ
فكأنا اذ حكنهُ في المغيبْ كمعزٍّ ولهُ قلبٌ خفوقْ
وتلاهُ كلُّ نجم اذ سَفَرْ

---

(١) نهر في غور العمق (٢) العمق سهول بين حلب والاسكندرونه

فعلت وجهَ النباتِ الاخضرِ صُفرةٌ من نورها المنعكسِ
وعلى العمق الفسيحِ المقفرِ سادَ سلطانُ سكونِ الغلسِ
فامتطى صاحبنا المهرَ الاغرْ

وبدا الافق لهُ مدَّ البصرْ قد حكى روضاً بلونٍ ازرقِ
زهرُهُ من كلّ نجم قد زهرْ جلَّ ان ينبت بين الورقِ
او يدانيهِ ذبولٌ اوغيَرْ
او كبحرٍ مذ صفا الماءَ بهِ ملأتهُ الجاريات السابحاتْ
ورأينَ البدر في مركبهِ فتوارينَ حياءً مُرسلاتْ
اثرَ الغطسِ رشاشاً من شَرَرْ

قال هل هذي مصابيح الدُجى ام دنانيرٌ على وجهِ الرقيعْ
أم كُراتٌ حيّرت اهل الحجى ام دُنىً دارت بترتيب بديعْ
وكدُنيانا بها خلقٌ بَشَرْ ؟

وهل القوم بها قد علموا ايَّ ارض إرضُنا في الكائناتْ
ام تراهم مثلنا قد رجموا بوجودِ الخلق في ذي النيّراتْ
وابتغوا ان يكشفوا عما استترْ

ورأى في اسفلِ الغور دُخانْ وتلاهُ نبحُ كلبٍ من بعيدْ
وجرت في انفهِ ريحُ المكانْ نافخٌ كبريتُها نفحاً شديدْ
فَدَرى أنْ في قرى الحمام قرّْ
بعد هذا قد احسَّ المهرَ خاضْ ماء نهرٍ ما لهُ صوت خريرْ

فاجتلاهُ فاذا ثَمَّ حياضْ جُمعت من ذلك الماءِ الغزيرْ
ليس حوليها نباتٌ او شجرْ
فسرى والبدرُ في الافق اعتدلْ يتخطّى جدولاً بعد فَلَجْ
وهوَ من حين لحينٍ لم يزلْ يتعدّى ربوةً منذ الدَلَجْ
تلك برجاً جُعلت فيما غَبَرْ

وتُجاهَ العين طيّاتُ اللُكامْ قد بدت تحكي رُكاماً من غيومْ
بعضُها قد غاصَ في لجِّ الظلامْ ثَمَّ بعضٌ كان في النورِ يعومْ
ذاكَ نورُ البدرِ او نور السحَرْ

وترآى بعد ذا السفحُ لهُ ثَمَّ اشباحُ دعاةٍ وغنمْ
وصياحُ الديكِ قد اعجلهُ لبلوغ الخانِ اذ كان جَزَمْ
ان يريحَ الجسمَ من بعدِ السهرْ

* * *

ما الذُّ العيشَ عيشَ المرءِ في بقعةٍ قد جمعت كلَّ الجمالْ
من جبالٍ ماءها من قرقفٍ ومروجٍ ورياضٍ ودغالْ
واذا اشتى الى وادٍ نَفَرْ
ونُعيجاتٍ له من سمنها ولباها خيرُ مطعومٍ مُقيتْ
ودجاجاتٍ يرى في كنّها كلَّ يومٍ طارفَ البيضِ شتيتْ
واذا ما شاقهُ اللحمْ نَحَرْ
ونباتاتٍ لهُ في زرعها بغيةُ العامل للربحِ الصريحْ

ولهُ من بعد ذا في قطعها لذةُ الآكلِ ذي الجسمِ الصحيح
ناعمَ البالِ خلياً من كَدَرْ

لا يرى أيانَ ما سار حسودْ يُظهر الودَّ على بغضٍ كمينْ
او لئيم الطبع مكاراً كنودْ يتحامى شرَّهُ في كل حينْ
او عدواً او كذوباً محتقرْ

او جهولاً ساحباً ذيلَ الغرورْ يحسبُ الدنيا لهُ قد خُلقتْ
يتباهى بفسادٍ وفجورْ زاعماً قريتهُ قد رُزقتْ
من ذكا افكارهِ علم البَشرْ

او نظامَ الشمس مملوكاً رقيقْ ما لهُ شغلٌ سوى خدمتهِ
فهي لا تطلعُ الا اذ يُفيقْ والدراري قمنَ في رقدتهِ
سُرُجاً تُطفا اذا الصبحُ انفجرْ

او كأن الكهربا قد قَدحتْ عن بريقٍ لاح من ضوءِ سناهْ
وتمنى ايدُسُنْ لو سنحتْ لسما ارآئهِ فيما اتاهْ
خطراتٌ منهُ مرَّتْ باتفكرْ

او علومَ الطبِّ نالت كلَّما يتمنى من شفآءِ العللِ
مذ حباها من نداهُ بعض ما يرتئيهِ من مُصولِ الحيلِ
وغدا السلُّ حديثاً او عِبَرْ

او كأنَّ الجذبَ قد أفضى الى علمهِ بالسرِّ دونِ العالمينْ

او كأنَّ الكيميا وقفٌ على حدسهِ اذ حلَّ لغز الاقدمينْ
فأحال الصُفرَ تِبراً مختبرْ
او كأنَّ البدرَ من طلعتهِ قد غدا مكتسباً بعضَ الجمالْ
او كأنَّ الشمسَ عن قدرتهِ اصبحت قائمةً في ذا الجلالْ
والنجومَ امتثلتْ ما قد أمرْ

* * *

اين حالُ القانع الساكنِ في مثل هذا الجبلِ الخصب الاريضْ
وبذاك الوصف منهُ يكتفي زاهداً في المالِ والجاهِ العريضْ
من حريصٍ ساكنٍ بين الحَضَرْ
ولهُ من ذا الهوا مُطلقُهُ ومن الطيرِ مغنٍّ ونديمْ
ومن الماءِ لهُ رَيقُهُ ومن الوحشِ انيسٌ وحميمْ
ومن الاشجارِ جارٌ قد خَفَرْ
ليسَ من باغٍ ولا عادٍ ولا عائثٍ في رزقهِ أنَّ ذهبْ
واذا ما مَلَّ احياناً تلا في كتابِ الكونِ ما يولي الطربْ
واغتنى عن كل اصنافِ البشرْ

* * *

عندما قد ايقظت شمس الضُحى بَطَلَ الرحلةِ من رقدتهِ
شاهد السمحَ رياضاً والهنا يخدمُ القاطنَ في وحدتهِ
وخريرَ الماءِ للهمِّ زجرْ

فمضى يذكرُ بيتاً زانهُ فيلسوفُ الشعرِ في ماضي الزمانْ
آدمٌ سنَّ لكم عصيانهُ فنأيتم مثلهُ عن ذي الجنانْ
يا بنيهِ وبكم حلَّ القدَرْ

وجرى ممتطياً سرج السبوحْ وهو يرقى في إكامٍ وهضابْ
تارةً للعين تبدو او تلوحْ قِمَّةٌ تنطحُ اكناف السحابْ
ثمَّ تخفى لا يُرى منها اثرْ

ويرى اوديةً إنْ شامها سيِّدُ الطيرِ تولاّهُ الهلَعْ
انبتت اجامُها اهرامَها وجرى الماءُ اليها واندفعْ
غيرَ هيابٍ عظيماً فانكسرْ

ثمَّ القى نظرةً فوق السهولْ فرأى العمقَ كبُسطٍ او رِقاعْ
الفَ شكلٍ هندسيٍّ باصولْ خطَّهُ المحراثُ في تلك البقاعْ
عادَ اقليدسُ عنهُ في حَصرْ

وجرى في فكرهِ ما قد جرى من دمِ الانسان في تلك الوهادْ
ثم اغفى لحظةً فيها سرى طيفُ من طبَّقَ اطرافَ البلادْ
حاكمُ الشهباءِ فيما قد غبرْ

ذاكَ سيفُ الدولةِ القرمِ المجيدْ افعمَ العمقَ بمهراقِ الدماءْ
كم لهُ من وقعةٍ كانَ يُجيدْ وصفها قائدُ جيشِ الشعراءْ
متنبي الشرقِ بل ربُّ الغُرَرْ

ورأى من خلفهِ دارا يسيرْ بجيوشٍ ملأتْ تلك الجهاتْ

يحسبُ النصرَ مع الجمعِ الكبيرْ لم يدُرْ في فكرهِ انَّ الثباتْ
وصوابَ الرأي عنوانُ الظفرْ

ثم كانت لفتةٌ منه الى اشمُلِ الشاهق من تلك الجبالْ
فرأى ربَّ الفتوحاتِ اعتلى قُلَّةً في عسكرٍ صُلبِ النزالْ
يخدعُ الفرسِ بتدبيرٍ بهرْ

قال ذو القرنين يا قومُ اثبتوا لا تهولنَّكمُ كثرتُهمْ
سوف تلقونهمُ قد كُبتوا ليسَ تُغني عنهمُ عِدَّتُهمْ
لا ولا يُرهَبُ الاَّ من قدرْ

غرَّ دارا قِلَّةُ الاعداءِ في ذلكَ المعقلِ فاختارَ الهجومْ
صَلَفُ الانسان بدءُ التلفِ مستخفُّ الضدِّ مذمومٌ ملومْ
وفطيرُ الرأي محرومُ الوطرْ

مذ رأى اليونانُ من تلك الجبالْ فيلق الفرسِ تصدّى للصعودْ
رشقوهُ بحجارٍ ونبالْ فبدا الرُعبُ بهاتيكَ الجنودْ
وفريقٌ بفريقٍ قد عثرْ

ثمَّ قامَ الهرجُ واشتدَّ الجلادْ وعلا العجُّ الى السبع الطباقْ
وملا النقعُ الفيافي والنجادْ ومجالُ الدفعِ بين الفرس ضاقْ
فرأوا ادبارهمْ رأس الحذرْ

وتلا دارا علامات الفشلْ في عيونٍ ونفوسٍ خائرهْ

ودرى الوابلُ من بعد الوشلْ وعليه ستدورُ الدائرهْ
فتولّى هارباً مما حذرْ
فاقامَ الويلُ في تلك الجيوشْ هولَ اثارٍ بها تُشجى العيونْ
منظراً قد فرقت منهُ الوحوشْ وغدا عاراً على مرِّ القرونْ
يرسمُ الانسانَ في شر الصُوَرْ
جثثُ القتلى على ذاك الصعيدْ سترتْ نُضرةَ ذيّاك النباتْ
كلُّ ذي روحٍ غدا مثل الحصيدْ وتساوى الكلُّ في شرع الممات
ودمُ المخلوقِ كالماء انهمرْ

* * *

ومضى من ثمَّ ذاك السائحُ يترقى في معاريج الجبَلْ
تارةً يشجيهِ طيرٌ صادحُ ثم يستوقفهُ هدرُ جمَلْ
او نعيقٌ او غزالٌ قد نفرْ
ورأى اذ كان في بعض الهضابْ غابةً قد اشبهت صرحاً بديعْ
بسقت ادواحُها حتى السحاب وجلت افنانها سقفاً رفيعْ
بعقودٍ تزدري عقدَ الحجرْ
أذنتْ للشمسِ فيهِ بالدخولْ وأحلَّتْ للهوا فيه المسيرْ
وبهِ عينٌ لها شرحٌ يطولْ وعلى اغصانهِ القُمرُ تطيرْ
وهي تشدو حمدَ من فاق الفكَرْ
قال هذي جنّةٌ قد حُجبتْ عن عيونِ الانسِ من بضع دهورْ

غرستها يدُ مولىً كتبتْ قد جعلناها مقاماً للطيورْ
فهيَ لم تأثمْ ولم تدرِ الضررْ

اين من هذي قصور الامرا وبيوتُ الناسِ في كلِّ البلادْ
خيَّمَ الشرُ بها لما سرى كلُّ مكرٍ في حماها وفسادْ
تلكَ والحقِ لقد امست سقرْ

ليتني قد كنتُ عُصفوراً ولي نِصفُ وكرٍ في اعالي الشجرِ
ليس لي غير استماع البُلبلِ واشتغالي بلذيذ الثمرِ
عن سماعِ الافكِ او شيءٍ امرّْ

ورأى الشمس الى الغربِ هوتْ فاغزَّ السيرَ في تلكَ القممْ
يتملى كلَّ حسنٍ قد حوتْ وهوَ يرقى علماً بعدَ علَمْ
لبلوغِ القصدِ من هذا السفرْ

فاذا بالبحر قد بانَ لهُ ما لهُ في الارضِ من شبهٍ عظيمُ
وباقصاهُ بدا ما هالهُ اذ رأى الشمس لها وجهٌ سقيمْ
تستغيث الخلقَ في دفعِ الخطرْ

ورأها هبطت فوق العُبابْ مثل عُصفورٍ امام الافعُوانْ
ثمَّ عجَّ الموج يعلو كالهضابْ لابتلاع الشمس في بضعِ ثوانْ
يا لبركانٍ ببحرٍ قد فغرْ

٢٥ اذار سنة ١٩٠٤

وقال في يوم انس تقضى في احدى جنان حلب مع جماعة من الاقارب وبعض معارفهم وقد عزموا على الانصراف قبل غياب الشمس فقال على البديهة .

غادةٌ بين يديها مهجتي ... وهي لا تدري بما تطوي الضلوعْ
قالت الشمسُ الى الغرب هوت ... وغداً سبتٌ وقد حان الرجوع
قلتُ واويلاهُ عزّتْ حيلتي ... ليتني يا منيتي كنت يشوع(١)

اخر صيف سنة ١٩٠٣

وقال طُلب اليّ نظم شيء يُقال في حفلةٍ اعتنى بامرها جماعة من مواطنينا السوريين في اميريكا لتكريم صديقنا الفاضل الخطيب العالم الالمعي الاكسرخس يوحنا الحداد من نزلاء اميريكا

يا جنانَ الشامِ يا ذاتَ البها ... ضمّخي زهرَكِ اذكى عنبرِ
ثم قفْ يا بلبلُ الحيّ بها ... كخطيبٍ قد علا في منبرِ
واتلُ لحناً فيه طيبُ الانفسِ

وافتلي يا شمسُ سلكاً منكِ لي ... حسنُهُ يزري باسلاكِ الذهبْ
كي اصوغَ اليومَ من نظمٍ عليّْ ... باهرَ الاكليلِ اوحاهُ الادبْ
فاحلّي هامةَ الاكسرخُسِ

خاطبُ الفضل قد استعلى على ... منبر الابداعِ في القُطرِ الجديدْ

---

(١) يشوع بن نون اوقف الشمس عن سيرها كما ورد في التوراة .

في حمى أمّةِ علمٍ وعُـلا قد جئت من كل فنٍ ما تريدْ
فهي في العالمِ أُنسُ الانسِ

جذبت حدّادنا من عندنا وهي مغناطيس اربابِ النُهى
مُذ رأتهُ للمعالي معدنا سوّدتهُ بين اعلامِ الحجى
واحلّتهُ رفيـعَ المجلسِ

صدرهُ مجمعُ اشتات اللُغاتْ فهو بحرٌ نحوه تجري النهورْ
بل سماءٌ زيّنتها النيراتْ وهي سبعٌ (١) مثل هاتيك تدورْ
بل شموسٌ هزأت بالخنّسِ

فكرهُ جنّةُ علم ازهرتْ لأُلي الالبابِ اصناف الكتُبْ
طرزت (٢) بل قلدت (٣) بل نوّرت فبدا الياقوت (٤) منها كالشُهُبْ
وازدرى المرجانُ (٥) لون النرجسِ

نبت الابريز (٦) فيها والعقيقْ (٧) وانجلى من طلعها الدرّ النفيسْ (٨)

---

(١) الاشارةُ الى معرفة اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسوية والانكليزية والطليانية والتركية والعربية .
٢ اشارة الى كتابه الطراز الضافي في علم القوافي
٣ » » » قلائد الذهب في فصاحة العرب
٤ » » » الياقوت
٥ » » » المرجان في وصف البلدان
٦ » » » الذهب الابريز
٧ » » » العقيقية في الرسوم المنطيقية
٨ » » » الدرة النفيسة في اسرار الكنيسة

وبنشرٍ ضارعَ المسكَ الفتيقْ تسكرُ الالبابَ سكرَ الخندريسْ
فهيَ تُسقى مآءَ روحِ القدسِ

وهو برقٌ اذ تراهُ كاتبا وهو للدين عمادٌ وبشيرْ
وهو سيلٌ ان تبدّى خاطبا وهو للفضل سميرٌ ونصيرْ
وهو في الشعر ذكيُّ النفسِ

ان أنلْ في وصفهِ حظَّ السباقْ فلهُ الفضلُ وما مَن يُنكرُ
قد جرت بي في معانيهِ العتاقْ فليَ النظمُ ومنهُ الجوهرُ
ولقد فزتُ بعزّ اقعسِ

فاخر الغربُ بهِ مشرقَنا وبهِ المشرقُ ما زال فخورْ
وليوحنا بتذكارِ السنا قد تشاركنا على آي الشكورْ
فبهِ نحنُ وهُمْ في عُرسِ

مصر سنة ١٩٠٥

وقال

الهواجس الكهربائية بين الرمل والاسكندرية

جرت في ذلك السهلِ بلا خيلٍ ولا رجلِ
ولا نارٍ ولا ريحٍ ولا علٍّ ولا نهلِ
ولا حادٍ ولا سوطٍ ولا همزٍ ولا رَكلِ
تشقُّ الريحَ شقُّ السُّفـ ـنِ موجَ الزاخرِ الجلّ
بدت في حندسِ الظلما ءِ مثلَ النجم من سُفلِ

وراحت مثل قصرٍ سا د بالسكّان والرَّحلِ
وتلوي عندَ معطوفٍ وتعلو ايمَّا تَلٍّ
وتجري دونما جُهدٍ ولا تثقُلُ من حملِ
وما زالت تسيرُ بنا الى أنْ لاحَ لي نُزلي
وناداانا منادينا بلغنا بلدةَ الرملِ
فقلنا بل جهلتَ الاسـ مَ هذي مجمعُ الشملِ
وهذي بلدةُ الاشرا فِ والالطافِ والنُبلِ
وهذي موعدُ العُشَّا قِ هذي جنَّةُ الوصلِ
بها مكحولةُ الاهدا بِ ما احتاجت الى الكحلِ
بها سَحَّارةُ الالحا ظِ بل مُصميَّةُ النبلِ
بها مائسةُ الاعطا فِ ذاتُ التيهِ والدلِّ
بها سَحَّابةُ الاذيا لِ ذاتُ الوعدِ والمطلِ
وفيها كيفما وجَّـ تَ انظارَكَ تستجلي
جنانٌ ذاتُ ازهار ونبتٌ دائمُ الظلِّ
وساقيةٌ وزامرةٌ وضاربةٌ على طبلِ
ودارٌ قد حكت قصراً وقصرٌ بادعُ الشكلِ
وماءٌ سلسلٌ عذبٌ وصدحُ بلابلِ الحقلِ
ومعتلُ النسيمِ بها حبيبٌ دائمُ الوصلِ
اليها جُلُّ اشواقي وفيها منتهى سُؤلي

الاسكندرية سنة ١٩٠٢

وقال وقد اقترح عليه موضوع القصيدة .

عجباً حلّلوا عذابَ النفوسِ ... في ربوعٍ غدت بروجَ الشموسِ
لا ترى حولها سوى مستهامٍ ... او صريعٍ او مدنفٍ او بؤوسِ
بينَ من يشتكي تباريحَ وجدٍ ... ومشوقٍ يشكو فراقَ انيسِ
كلّ يومٍ لهم حديثٌ جديدٌ ... عن هوىً فائقٍ وحظٍ خسيسِ
ولهم في الغرامِ آياتُ صدقٍ ... هبطت من مقامِ وحيٍ نفيسِ
فرسولٌ منهم ينادي بصدق الـ ... ـحبِّ والحب شرعُ خيرِ رئيسِ
ورسولٌ الى الوفا راح يدعو ... ورسولٌ الى رضىً بعدَ بؤسِ
ورسولٌ معللٌ بوصالٍ ... ورسولٌ بالبشرِ بعد عبوسِ
وسواهم الى سوى ذاك مما ... يتبارى به كرامُ النفوسِ
يقنعُ الهائم المتيمُ بالوعـ ... ـدِ وان شيبَ بالمطالِ الرسيسِ
دَرَّ ذَرُّ العشاقِ قوم لهم سه ... ـدٌ مقيمٌ على غرامٍ حبيسِ
صرع الوجدُ منهمُ كل صبٍ ... كان يوم النزالِ ربَّ خميسِ
رحمةً يا ملاحُ يا قرّةَ الاء ... ينُ يا معجزاتُ ربٍّ قدوسِ
يا ضياءَ الاكوانِ يا زينةَ الدنـ ... ـيا بهذي القلوب في ذا الوطيسِ

الاسكندرية سنة ١٩٠٥

وكتب الى صديقه الشاعر الكاتب الشيخ امين الحدّاد في الاسكندرية جواباً على ابيات وردته منه الى مصر .

نظمتَ لي دراً ام صغت لي ذهبا ... ام رحتَ تستنزلُ الافلاكَ والشهبا

يا اكرم الناسِ عهداً لستُ مبتعداً ... الاّ وودُّك مني ظلٌ مقتربا
ملكتَ منيَ قلباً ليس يملكهُ ... الاّ الامين ابن حدادٍ اذا انتسبا
لو انصفوك لسموك ابن اشعرهم ... أليسَ جدُّك ناصيفٌ كرمت ابا
بل انتَ نظّامُ درِّ الشعرِ ان نُسبا ... بل انتَ منزلُ ايات اذا كتبا

الاسكندرية سنة ١٩٠٥

وقال عند عودته الى مصر في آخر صيف سنة ١٩٠٦ في قطار السكة الحديدية التي مُدت لعهدها بين حلب وبيروت وكانت اول القطر وقد صادفنا بها الشاعر الكاتب ابرهيم بك الاسود صاحب جريدة لبنان فطلب هذه الابيات ونشرها في جريدته واجاب عليها تفضلاً .

قد تركنا احبَّ ارض لدينا ... وركبنا الهوادجَ العصريهْ
وقصدنا لبنانَ صحبة اقما ... رٍ بدت من مطالعِ حلبيهْ
قصرَ الحظُّ يومنا فحكت سا ... عاتهُ بعض ساعةٍ أُنسيهْ
فكأنا نسير في قصرِ عزٍّ ... من سنا الذوقِ حاز كل مزيهْ
سَفرةٌ جدّدت زمان التصابي ... وادّكارَ الصبوحِ بعد العشيهْ
قلت لولا فراق احبابِ قلبي ... يا لها سَفرة تقضّت هنيهْ

تشرين الاول سنة ١٩٠٦

وهذه ابيات ابرهيم بك

يا رعى الله ساعةً ذهبيه ... صاح فيها القطار في سوريهْ
صيحةً احيت الدفين من الا ... مالِ في داخل القبور الدجيهْ

ان ذاك القطار جاءَ علينا بازدهار المرابع الوطنيهْ
ولقد قرّبَ القلوبَ كما قد قرّب الخلق في الديار القصيهْ
فحظينا فيه بخلٍ عزيز شاعر يخلب العقول القصيهْ
فبياني يراعهِ شائقات ومعاني كلامه بابليهْ
شاقهُ من ضيآءِ لبنان ما لم يرهُ من ضيآء مصر الغنيهْ
فسلامٌ عليكِ يا ارض لبنا نِ ويا زائراً حميدَ المزيهْ

سنة ١٩٠٦

وقال مؤبناً صديقه الاعز علامة العصر الشيخ ابرهيم اليازجي في محفلٍ حفيلٍ بالاسكندريه ليوم الاربعين من وفاته

يا راحلاً والقلوبُ في أثَرِهْ تتقطّعْ
وغائباً لم نقف على خَبَرِهْ ولم نطمعْ
ويا حبيباً زواهُ عنا الردى ولم يشفعْ
في بعدهُ شافعُ الحجى
هل عميَ الدهرُ عن جميع الورى فلم يدفعْ
يومكَ يا غايةَ المُنى
لو كان فداؤكَ بالارواحْ شيئاً معقولا او امراً مقبولا
لبذلناها
قد كنتَ لنا شمسَ الاصباحْ لما كسفَتْ منا انفجرت مقلٌ نظرت
ما ادماها

فلو انكَ مذ بايذتَ هذي الارضَ قد عايذتَ حزن البعضِ ما استنكفتَ وحياً من بلاغاتكْ

ليفوكَ حقوقَ رثائكَ والتأبينْ

ان كان يفي ذاكَ بيانٌ او تبيينْ

ولو أنَّا الشُهبَ استنزلناها وَفداً وفدا
وعقودَ الدُرِّ نظمناها عقداً عقدا
وصنوفَ الوردِ نشرناها ورداً وردا
لقضاءِ حقوقِ عُلاكْ ووفاءِ ديونِ نُهاكْ
لم ننلْ سوى الفَشَلْ والخجلْ
اذ عرفكَ (١) طيبٌ بل عنبرْ بل ذاكَ هوَ المِسكُ الاذفرْ
وبيانُك (٢) سحرٌ او سكرْ بل ذاكَ النيلُ بل الكوثرْ
وضياؤكَ (٣) نجمٌ بل ازهرْ بل صبحٌ وضّاحٌ اسفرْ
بل ذلك شمسٌ بل انورْ

فلانوارِ معانيكْ ولاسرار اماليكْ (٤) تعنو الافهامْ
وعيون النثر اذا فاضتْ وبحور الشعر اذا غاضتْ
لا بدْعَ فبُعْدكَ خطبٌ عمْ صنوفَ العلمْ
واللغةُ والعصرْ (٥) انهما لفي خسرْ

---

(١) اشارة الى العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب (٢) مجلة البيان (٣) مجلة الضيآء (٤) الامالي اللغوية في الضيآء (٥) مقالة في الضيآء

لمصرعكَ البلبلُ انتحر (١) والزهرةُ (٢) غارت والقمر (٣)

فمنَ المعيدُ او المُجيدُ او المنيدُ سُلافةً دعيت شمولا
ومدامةً سلبت عقولا ؟

فغادرت اهلَ النُهى حيارى تحسبُهم بلا حجىً سُكارى
وما هم بسُكارى

والنُجعةُ (٤) مذ فُجعتْ عجّتْ بل عجَّ العلمُ واهلوهُ
اذ كنتَ الفخرَ لهذا العصـ ـرِ وكل زمانٍ يتلوهُ
اما المعجزةُ الاخرى بل آية آيتك الكُبرى
فرائدكَ الحسانْ (٥)

تلك اليواقيتُ التي تُفدى بنور المقلةِ ما لؤلؤٌ ومرجان ؟
فلها بعد نواكْ عينانِ نضّاختانْ
وبسجعٍ يحكي الدمع نَعَيتَ فكدتَ بذاك تقيم الميتَ وتنشر حقاً
بل احييتَ مَن ابنتَ ومن رثيتْ
بل كم اوضحتَ بمعجزِ لفظٍ غامضَ معنى قد دفنوهُ
فشرحتَ صدورَ أُلي التدقيـ ـقِ بما اعيى اهلَ التحقيـ ـقِ فقال
الكلُّ بلا تفريـ ـقِ امامُ العصر واستاذُهْ وعماد القولِ ونفّاذهْ
قد قال فليس سوى التصفيق

---

(١) انتحار بلبل في الضيآء (٢) مقالة في الضيآء (٣) القمر مقالة في الضيآء
(٤) كتاب نجعة الرائد في المترادف والمتوارد (٥) الفرائد الحسان معجم في اللغة العربية لم يُطبع .

والشعرُ اطاعكَ منقاداً لا بزمامْ عاصيهِ
والى تبيانكَ قد سُجدتْ اهلُ الاقلامْ تستفتيهِ

لما خرَّتْ صفوفُ القوافي لبراعتكْ صفاً صفا
وخضعت بل ركعت صنوف الكلم النطيب لبراعتكْ صنفاً صنفا
واصبحت اياتُ البلاغة عيالاً على صناعتكْ ووقوفاً وقفا
وتوارد مترادف اللفظ عند موردكْ ردفاً ردفا
وتزاحم جماعات الفصاحة عند كعبة عرفانكْ الفاً الفا

فشاردَها ألفتْ ومستورَها كشفتْ واقمتَ واقعدتْ
واوجبتَ ونفيتْ واضحكتَ وابكيتْ واعدمتَ واحييتْ

فما الذي حلَّ بذاك الهيكل الانسيّ فقضى على حركاته بالسكونْ
وما عرا ذلكَ الروحَ القدسيّ فحجب هيولاهُ عن العيونْ
اطائرٌ قد يعودْ ام غائب موجودْ ام مضمحلٌ مفقودْ ؟
لا بل انتَ الحيُّ بأثاركْ الباقي باسنى انوارِكْ
المستعلي فوق الاحياءْ الخالدُ في عرشِ الضياءْ المرتدي ثوب البهاءْ
فلُغةٌ كنتَ لها إماماً وأمةٌ ادَّبتها اعواما
لجديرتان بذكرِ فضلكِ كلَّما خط القلَم
وحقيقتان بنصب تمثالٍ لعزكَّ يا علَمْ

يا قومْ لا حزنَ على الامامِ من بعدِ اليومْ
طيَّبَ اللهُ تربتَهْ واعلى في الخُلدِ مرتبتَهْ وهو الغفورُ الودود .

ما نقص فى المرقص

يا ذوات الحسن رَبّاتِ القناعْ كلُّ حسنٍ لم يُصنْ حقاً يضيعْ
انما العاقلُ يُخفي ما استطاعْ كَنزَهُ بل كلُّ ذي قدرٍ رفيعْ
كلما زادَ احتجاباً عَظُما

فأجلّ المسكِ إما صنتَهُ زاد عرفاً وارتفاعاً في الثمنْ
ونفيسَ الدرِّ ما ضمَنتهُ سفَطاً خشيةَ غيرِ المؤتمنْ
واعزُّ السرِّ سرٌّ كُتما

زعمتْ جاهلةٌ بين الحسانْ أنَّ كشفَ الجسم غاياتُ الجمالْ
فانجلت عن قامةٍ كالخيزرانْ نصفُها الاعلى عريٌّ كالنصالْ
تتهادى وهي تُخفي الألما

هُتكت والصونُ بالانثى خليقْ فمن العُريِ استحت امُّ البَشرْ
خجلت من ذلك الزوج الشفيقْ فارتدت حالاً باوراق الشجرْ
وهي لم تنظر رداءً مُعلما

برزت تحكي بناتَ الملعبِ غير مستورٍ سوى بعضِ القوامْ
شعرُ إبطيها بدا كالغيهبِ وترى النهدين منها بالتمامْ
يا لزيٍّ فاضحٍ قد حكما

وأرتنا الظهرَ حتى العُجُزِ فاستحتْ من ذلك المرأى عيونْ

قال ناسٌ ذا تمامُ المُعجزِ لنبيِّ الزيِّ في فخرِ القرونْ
قلتُ بل طاعونُ زيٍّ وسَما
ليتَ شعري ما الذي ابقينَ من بعد هذا الهتكِ للبعلِ الحبيبْ
ثمَّ اين الصونُ أم في ايِّ سنْ تستُرُ الحسناءُ عن عين الغريبْ
ناعمَ الجسمِ ولمساً محرما

* * *

كم من الزيِّ تردّى بالشقاءْ نسوةٌ يعجزنَ عن كشف النهودْ
قد يكون العذرُ منهنَّ الحياءْ او لِما فيهنَّ قد جاز الحدودْ
من دقيقِ الحجمِ او حجمٍ نمى
او لضعفِ الجسم حتى لا يُرى غير جلدٍ وعروقٍ بارزاتْ
او للونٍ لا تسلْ عما جرى فوقهُ من سُمِّ تلك السائلاتْ
فبدا تحسبُهُ جبسَ الدُمى

كلُّ شيءٍ ان غدا مُبتذلا هانَ قدراً في عيونِ العالمينْ
واذا ما عزَّ في العين حلا وغلا كالتبرِ والدرِ الثمينْ
وحياءُ الغيدِ للحسن انتمى
يا ذوات الحسنِ ربّاتِ الخدورْ بعضُ هذا الزيِّ ادنى للادبْ
فاتّقينَ الله في هتكِ الستورْ ليس هذا عندنا بالمُستحَبْ
لا تظنَّ التعريْ مغنما

* * *

سامح اللهُ بلادَ الغربِ ما اطلعت زيناً على الحشمةِ جارْ
وسقاها غيرَ امطارِ السما فلكمْ ادابُها شادت منارْ
حسناتُ الغربِ يُطبقنَ الفما

ان تجد فيها اميراتِ الجمالْ قد تبرجنَ الى حدِ السَرَفْ
فلكمْ فيها لوبّاتِ الحجالْ من كتاب نالَ غاياتِ الشرفْ
واختراعٍ نفعُهُ قد عظُما

ولكمْ من فاضلاتٍ عالماتْ بفنونٍ حظُنا منها امَلْ
ولكم من شاعراتٍ كاتباتْ والوفٍ لا ترى زيّاً اجلّْ
من شعارِ العلم يُعلي القيما

فاذا شئتنَّ بالغربِ الشبَهْ فليكنْ بالفضلِ والعلم الصحيحْ
فاذا من بعدهِ جاءَ التنَمَّهْ شفعَ الاولُ بالعذرِ الصريحْ
ادبُ الانثى يُرقّي الأُمما

مصر سنة ١٩٠٧

قال وطلب اليَّ اهل بلدة الرقة ان اشكو الى ناظم باشا الوالي على حلب يومئذٍ عاكفاً مدير المال فيها فقلت على لسانهم .

ناظمَ الفضلِ اننا قد غدونا بعدَ ربِّ السما عليكَ عيالا
ناظمَ العدلِ والمحامدِ أنّا مسَّنا الضرُّ والظلومُ استطالا
عاكفٌ ليسَ يرقبُ اللهَ فينا خيّبَ اللهُ عاكفاً حيث مالا
عاكفٌ قد بغى وندعوك أن لا تَردِ الظالمينَ إلاّ ضلالا

وقال فيه ايضاً فعُزل عقبها .

الرقّةُ البيضاءُ تشكو ولا ... يعلمُ الاّ اللهَ احزانَها
فاخبثُ الخلق بها عاكفٌ ... على الاذى يُفسدُ ايمانَها
اكذبُ خدّاعٍ وشرُّ الورى ... باغٍ غدا يظلمُ فتيانَها
قد سلب الدولةَ اموالَها ... وانكرَ النعمةَ بل خانَها
وكم اتى مُنكرةً حقُّها ... أنْ تسلبَ المنصب معوانَها
فاظهر التوبةَ عن جرمهِ ... لكنّهُ استبطنَ عصيانَها
حتى اذا عاد الى منصبٍ ... سواهُ قد آمن حرمانَها
اغراهُ ما لاقاهُ من حلمها ... فلم يزل يغمطُ احسانَها
وهذه الرقّةُ مبلوّةٌ ... به ولا تعلمُ طغيانَها
قد جرّدَ البارزَ من لحمها ... وباتَ ذِئباً يرتعي ضأنَها
وقد اتاها عارياً فاكتسى ... بالخزِّ واستحقرَ اعيانَها
يظل فيها آمراً مثلَما ... لو كان واليها وخزّانَها
اعوذُ بالله فمذ حلّها ... ايقظَ للفتنةِ شيطانَها
امسى مدير المالِ فيها وقد ... ادارَ ما خرّبَ عمرانَها
يمدُّ بالمكر شباكاً غدت ... اقواله تنسجُ بُهتانَها
فيقنصُ الطائرَ في جوّها ... ويسلبُ الافراسَ فرسانَها
حتى غدت تصرخ يا للملا ... من جائرٍ مزّق لحمانَها
اللهَ يا ناظمَ شملِ العُلا ... والعدلِ في تأديب مَن شانَها

وطهرِ الرقّةَ منهُ فما يُصلح الاّ عزلهُ شأنَها
ودمتَ فينا حاكماً منصفاً يا مقلةَ الفضل وانسانَها
ما قال ذو الطاعةِ يا ربَّنا صُنْ دولة العدلِ وسلطانَها

حلب سنة ١٩٠٨

وقال ابّان ذبح الارمن في اطنه وانطاكية وما جاورهما ووقوع الخوف والهلع العظيمين عند نصارى حلب وما كان من ذمام مجاوريهم العرب سكان حلب سنة ١٩٠٩

قفْ بالديارِ وحيّها واسألْ معاهدَها الوسيمَهْ
هل مالَ عنها للسوى مَن حبُّها اضحى غريمهْ
يرضى العذاب بقربها ويرى الشقا فيها نعيمهْ
صبٌّ وإنْ نُسبتْ الى حمصٍ منابتُهُ القديمهْ
فلأنتِ يا حلب العُلا وطنٌ لأسرتهِ الصميمهْ
مضتِ القرونُ ولم تزَل بربوعها ابداً مقيمهْ
حلبٌ حماكِ اللهُ من عين ابنِ فاجرةٍ أثيمهْ
يا مسقطَ الرأسِ العزيـ ـزِ ودرَّةَ الحسنِ اليتيمهْ
يا موطنَ الادبِ الصحيـ ـحِ ومجمعِ الشيم الكريمهْ
اهلوكِ خيرُ الناسِ أخـ ـلاقاً واصدقُهم عزيمهْ
اهلُ التقى اهلُ الصلا حِ وكلِّ منقبةٍ وسيمهْ
وجوارُهمْ خيرُ الجوا رِ وودُّهمْ اسنى غنيمهْ

ما اخلفوا عهداً ولا خانوا ولا ارتكبوا جريمه
يفديكِ يا حلبُ الكرا مُ بكلِّ ذي قدرٍ وقيمه
افديكِ بالنفسِ العزيـ زةِ وهي في عيني عظيمه
للهِ منكِ رياضُ حسـ ـسنٍ نوَّرتْ من بعد ديمه
وجنانُ انسٍ حورُها وعهودُها ليست ذميمه
ورعى الالهُ منازلاً وحمى جواسقَكِ الفخيمه
ولدي واهلي في ربو عكِ ثمَّ ارحامي الرحيمه
وذوو ودادي والأُلى نكرانُ ذكرهمِ شتيمه
من كلِّ اروع ماجدٍ حرِّ المودةِ والشكيمه
ومهـذَّبٍ عـاشرتهُ فحمدتُ منهُ خير شيمه
حُييتِ يا حلب الذما مِ وكلَّ مفخرةٍ جسيمه
ادعـو لرغدكِ كلما ذكرَ الكرامُ لنا كريمه
وأُحبُّ اهلَكِ أنَّهمْ اهلُ الخلالِ المستقيمه
وحباكِ ربُّ الناسِ بالا لطافِ والنعمِ العميمه

وقال بعد ذلك في المعنى نفسه

كلُّ حمدٍ لما صنعتمْ قليلُ وافرُ الشكرِ قاصرٌ والطويلُ
قد رفعتمْ للحقِ رايةَ فضلٍ وسلكتمْ هدىً ونعمَ السبيلُ
وهديتم الى الرشادِ أُناساً كادَ يغويهمُ العدوُّ الجهولُ
فسهرتم ونامَ من لا أُسمِّيـ ـهِ ولولاكمُ لحلَّ العويلُ

وحقنتم دماءَ قومٍ لهم في ذمّةِ المسلمينَ عهدٌ جليلُ
شهدَ اللهُ انّهم اقرب النا سِ اليكم مودّةً والرسولُ
قال خاصمتُ من اذاهم حديثٌ مُسندٌ ما لصدقه تبديلُ
ولنا ما لكم حديثٌ شريفٌ ثمّ هذا القرآنُ والانجيلْ
قد أُمرنا بالبرّ والعدلِ والاحسسانِ لا بالفجورِ جاءَ التنزيلُ
ذاكَ شرعُ الاديانِ لا رحمَ الرحـ ـمانُ قوماً دعواهمُ تضليلُ
ايُّ دينٍ يحلّلُ النهبَ والقتـ ـلَ وهل ذاكَ مذهبٌ معقولُ
مَن يحلّلهما جحودٌ كفورٌ ما لهُ في الاديان طُراً دليلُ
يا حُماةَ الحمى عقدتم لساني بايادٍ منا لها تقبيلُ
يا حُماةَ الحمى بكم صحّ جسمُ الـ ـعدلِ والعدلُ منذ عهدٍ عليلُ
هذهِ سنّةُ الاكارمِ طُرًّا هكذا يحرسُ الخليلَ الخليلُ

سنة ١٩٠٩

وقال جواباً الى الشاعرين النابغين معروف الرصافي وولي الدين يكن على قصيدتين لهما في الذبائح الارمنية .

أمعروفُ قد واسيتَ قلب المتيّمِ وداويتَ جرحاً فتَ مهجةَ مريمِ (١)
عهدتُكَ يا ربَّ القريضِ منظّماً قلائدَ دُرٍّ لا مُجبّرَ اعظُمِ
ومنزلَ آياتِ البلاغةِ والحجى فها انت طبٌّ ما استعان بمرهمِ
عرفتَ مكانَ السقمِ من نفسِ أيمٍّ فداويتَ منها كل جرحٍ ببلسمِ

(١) قصيدة للشاعر الالمعي معروف افندي الرصافي عنونها باسم مريم ام اليتيم

وان كنتَ لم تنشر من القبرِ بعلّها فما انتَ عيسى كي تقولَ لهُ قُمِ
ولكنَّ اولادَ الارامل كُلّهمْ يفدّونَ منكَ اليومَ اكرمَ ضرغمِ
وما انفردوا في ذاكَ بل كل مُنتمٍ لعيسى غدا يفديك يا خيرَ مسلمِ
جهرْتَ بقولٍ شفَّ عن نفسِ عاقلٍ كريمِ ابيٍّ لم يَهبْ قولَ لُوَّمِ
وقمتَ بعذرٍ لا يُردُّ لدى امرئٍ فقلت ضلالُ القوم ساق الى الدمِ
فقاموا بعار النهب والفتكِ وافتروا على الدين في تحليلِ كلِّ محرّمِ
ضلالٌ يجلُّ الدينُ عنهُ وانَّ مَن يعالنْ بهِ للجهلِ والكفرِ ينتمِ
الى مريم وافيت معتذراً وما سواكَ اتى بالعذر غير مُجمجمِ
غلطتُ فقد وافى الوليُّ بمثل ما اتيتَ وانَّ الفضلَ للمتقدمِ
نعم يا وليَّ الدينِ قد كنت سابقاً بعذرٍ كما لو كنتَ اوَّلَ مجرمِ
وحاشاكَ يا قطبَ المكارمِ والنُهى من الذنبِ لكن ذا كمال التكرّمِ
فانكما يا نابغَي امَّةٍ لها قديمٌ شفيعٌ في ضلالٍ مُيمّمِ
اذا ما الوفُ اجرمت بجهالةٍ ففي كلِّ لفظٍ منكما دِيةُ الدَمِ

١٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٩

وقال في ذي صوتٍ حسَنٍ

يا رفيعَ الصوتِ يا روحَ الطربْ يا وضيعاً عُجبُهُ كلَّ العجبْ
انتَ لولا سوءُ خلقٍ وادبٍ وعيوبٍ لك قد باتت نسبْ
كنتَ تُدني البسطَ من ادنى سببْ

سنة ١٩٠٤

وقال و كتبتُ الى الصديق علي كمال بك الكاتب التركي المشهور محرر جريدة اقدام في القسطنطينية اذكره بايامنا في الشهباء مع كمال بك مدير المعارض والصديق صفا بك ترجمان الصدارة .

قد هيّجت وجدي لبسط العتابْ صحيفةٌ جاءت بفصل الخطابْ
وشى حواشي بُردها كاتبٌ اقدامُهُ تُنقل فوقَ السحابْ
ذو همةٍ بل فكرةٍ قد غدتْ تصطاد ما يعجز عنهُ العُقابْ
إن قال إقدامي يقول الورى إقدامُ بين الصحف فصلُ الخطابْ
ما جئتُ للمدح ولكنّني هيجَ بي ذكرُكَ عهد الصحابْ
شوقي الى عهدِ كمال الصفا شوقي الى عهد الهوى والشبابْ
باللهِ هل تذكرُ عهداً بهِ طلعتَ في الشهباءِ مثل الشهابْ
وعشرةً مرّتْ لنا والصفا يا كاملَ الفضلِ سريعُ الجوابْ
فاذكر بخيرٍ حلباً انها تحفظُ للاحبابِ عهدَ اغترابْ

سنة ١٩١٠

وقال وطلب اليَّ الصديق الشاعر ميخائيل افندي الصقال تشطير البيتين الآتيين وهما من نظمه

فتنت محاسنُها العبادَ فان بدتْ غفلوا عن الناقوسِ والقدّاسِ
خودٌ كأن الله كوّنَ جسمها من معدنِ الياقوت والالماسِ

فكتبتُ على البديهة

فتنت محاسنُها العبادَ فان بدتْ سجدوا لهيكلِ قدّها الميّاسِ

او انصتوا يوماً لسحرِ حديثها غفلوا عن الناقوسِ والقدّاسِ
خودٌ كأنّ اللهَ كوّنَ جسمها من جوهرِ الالطاف والايناسِ
ولو انّهُ من معدنٍ لبدا لنا من معدنِ الياقوت والالماسِ

وقال جواباً على مقالةٍ عنوانها (حمّلة الاقلام في بر الشام) نشرت في جريدة الاخاء بامضاء ايزابيل تقول فيها اما فلان (تعنيني) فقد هجع وقاطع بعد الضياء فكتب اليها

وحقكِ ايزابيلُ ما انا هاجعُ ولا انا من بعد الضياء مقاطعُ
نعم طال ندبي خيرَ خلٍّ فقدتُهُ واني عليهِ ما حييتُ لجازعُ
لقد كان ربَّ النثرِ غير مدافعٍ وكان إمامَ العصر ليس يُنازَعُ
ولكنني ما زلتُ بالنضل مولعاً اذا ما دعا داعٍ اليهِ أُسارِعُ
ولم تخبُ لي بعد الضياءِ مشاعلٌ وكم لي منها في الظلامِ طلائعُ
يسيرُ على انوارها كُلُّ مبصرٍ ويرتدُّ عنها الضدُّ والطرف خاشعُ
وما زلت ايزابيلُ والحسنُ مذهبي أُراجعُ في سفر الهوى وأُطالعُ
يتيمني طرفٌ كحيلٌ وقامةٌ مهفهفةٌ تبدو لديها المطامعُ
اذا قلتُ شعراً في بديع صفاتها تخيّلتِ انَّ ابن الثمانين يافعُ
وما ضرني انْ خضّب الشيب مفرقي ولي من فؤادي في الغرام مُشايعُ
فاعشقُ معنى الحسنِ في كلّ صورةٍ فيعتزُّ مصنوعٌ ويفخرُ صانعُ
واهوى من الاخلاق اكرمها ولا بغيضٌ لقلبي كاللئيمِ يخادعُ
سلي ان تجاهلتِ الذي كان من فتىً املٌ صروفَ الدهرِ وهو يقارعُ

سلي منهلَ الورّادِ ان مسّكِ الظما ... رَواكِ بعذبٍ سائغٍ يتتابعُ
سلي كلَّ مَن للشوريّة ينتمي ... يُخبرْكَ ايزابيلُ ما انا صانعُ
فكم موقفٍ فيه صعدت الى العُلا ... بمقولِ صدقٍ في الفصيحِ يُطاوعُ
خطبتُ فوفّيتُ البلاغةَ حقَّها ... وقمتُ ندِيَّ الصوتِ واللفظ بارعُ
اطيلُ عنانَ القولِ مرتجلاً وما ... تلعثمتُ يوماً والقلوبُ هوالعْ
سلي قلمي كم قد جرى باناملي ... فلا اتا مجهودٌ ولا هو ظالعُ
اصرّفُهُ في كل معنىً اريدهُ ... فتبدو لهُ فوق الطروسِ بدائعُ
فنظمٌ كسمطِ الدرِّ زاهٍ وناصعٌ ... ونثرٌ كزهرِ الروض ذاكٍ ورائعُ
سلي فضلاءَ الشامِ والنيلِ عن فتىً ... لهُ بينهم ذكرٌ هو المسكُ ضائعُ
اولئكَ اخواني فجئني بمثلهم ... اذ جمعتنا للنضالِ المجامعُ
وما الفخرُ شأني غير انكِ رُمتهِ ... وليسَ لما تقضي المليحةُ دافعُ

سنة ١٩١٠

وقال

كم كشف العلمُ لاهل النُهى ... من حُجُبٍ عن منظرٍ باهرِ
كم من كنوزٍ دُفنتْ في الثرى ... كم ترك الاوّلُ للاخرِ

وقال السنةُ الجامدة

١٩١١

يا ثلجُ في مصبحي وفي غسَقي ... يا ثلجُ في مَفرقي وفي طُرُقي
ضيقتَ يا ثلجُ كلَّ منفرجٍ ... يا ثلج ضيّقت واسعَ الخُلُقِ

فرّقتَ يا ثلجُ شملَ مُتصلِ ... قطّعتَ اسبابَ كلِّ مرتزقِ

يا أبيضَ الوجهِ غير محتشمٍ ... سوّدتَ عيشَ الالوف بالبرَقِ

يا من تحاكي الهواءَ خفّتُهُ ... اصبحت فوق القلوبِ كالطبقِ

ويا نزيلاً فينا نزولَ ضنىً ... في الجسم غادرتنا على رَمَقِ

ويا ثقيلاً حلاً ومرتحلاً ... اصبحتَ مثلَ القذاةِ في الحدَقِ

يا أبردَ الخلقِ كفّ عن بلدٍ ... يدعو بنوهُ عليكَ بالغَرقِ

انهارهُ من جراكَ قد جمدتْ ... قلوبُ اهليهِ منكَ في حرَقِ

يا شرَّ ضيفٍ روّعت انفُسَنا ... طيورنا من لقاكَ في فَرَقِ

قلّصتَ اجسامنا فلا جلَدٌ ... على الجليد ولا الوقودُ بقي

غادرتَ شمس السماءِ كاسفةً ... كأنها ما علَت بذا الافُقِ

تركتَ شهباءَنا كدارِ بلىً ... قد نامَ من أمّها فلم يَفقِ

تنعقُ فيها الغربانُ جائعةً ... والوحشُ كادت تسيرُ في الطُرُقِ

لانبتَ لا ماءَ فهو في جمَدٍ ... بل من رأى جامداً من العَرَقِ

تشقّقَ الصفرُ والحديدُ معاً ... تفلّق الصخرُ كلَّ مُنفلَقِ

صاحبتَنا الشهرَ غير منقطعٍ ... سكباً ودفقاً يا شرَّ مندفقِ

وزدتَ عشراً ولستَ منفصلاً ... هل انتَ يا ثلج غير مُنطلقِ

جاوزتَ حدَّ الذراع مرتفعاً ... باللهِ هل ذاكَ منكَ عن حنقِ

أتلبثُ الدهرَ في منازلنا ... لصقتَ كالدبقِ شرَّ مُلتصَقِ

هل عازم انتَ طمسَ بقعتنا ... من صفحة الارضِ عزمَ مُفترقِ

كم حائطٍ ناطحٌ السمآءَ غدا ... مُشقَّقاً فانهوى من الرهقِ
وتربةٍ لم يعُدْ لها جَلَدٌ ... عليك اهبطتها الى سُحُقِ
اهلكت اغنامنا وطائرنا ... سعيدُنا فيكَ راح وهو شَقِي
يبيتُ منا الفقيرُ في فرَقٍ ... طاوي الحشى والغنيُّ في أَرقِ
ويصبحُ الكلُّ كي يسيرَ على ... يأسٍ على شدَّةٍ على زَلَقِ
لا ابخسُ المحسنينَ حقَّهمُ ... فقد جروا في الندى على نسَقِ
جادوا فكم من يدٍ مباركةٍ ... قد فرَّجتْ عن خناقِ مختنقِ
يا ضربةَ الجوِّ هل اثمنا وما ... في قُطرنا شافعٌ ابرُّ تقي
يا نِقمةَ الارضِ ذي ديارُ بني الـ ... ـاديانِ هل ليس في الديار نقي
كلٌّ يعدُّ السوآءَ مذهبهُ ... والعقلُ يقضي باوضح الطرُقِ
الدينُ للهِ والبلادُ لمن ... توطنوها من كافةِ الفرقِ
هبّوا الى العلم كُلُّكم ودعوا ... كلَّ اختلافٍ يجرُّ للزَلَقِ
كنوزُ ذي الارض تحتَ ارجلكم ... والفرق بينَ الاقوامِ كالفَلقِ
لن تفلحوا ما استمرَّ قائدكمْ ... يُغري بكم للعدآءِ والمَذَقِ
لن تصبحوا امَّةً مهذَّبةً ... الا بعلم خلا من الرَنَقِ
انَّ الاعادي بنا مُحدِّقةٌ ... يا ويلنا من غوائلِ الحَدَقِ
هل بيننا من يقولُ ذا وطني ... بالروحِ افديهِ ليسَ بالوَرقِ
كذا يكون الذين قد بلغوا ... من المعالي نهايةَ الطُرقِ
ما اكثرَ الادعياءَ ان سُئلوا ... وما اقلَّ المجيبَ بالصدقِ

لعلَّنـا والزمانُ ادَّبنَـا نسعى الى الوفقِ سعيَ مرتزقِ
لعلَّ هذي الديار مسعَدةٌ باهلها والنحوسُ في مَحَقِ
قد آنَ أنْ تعمرَ الديارُ بكم يا رُكن اوطاننا بلا مَلَقِ

وقال في مجلس المبعوثين

نوّابُنـا لما بنـا في سلّمِ العليا رقوا
للهِ ماذا قـد لقيـ نا منهمُ وما لقوا
قد صمتوا عن حقنا دهراً كأن لم يُخلقوا
ومذ دروا انَّ لهـم بعض الـكلام مُطلَقُ
قد نطقوا لنحسِنا يا ليتهم لم ينطقوا

سنة ١٩١١

وقال عربتُها عن قصيدة للشاعر الانكليزي المشهور اللورد بايرون ودعوتُها

[جنايةُ الحلم]

بحقِ مَن يا منيتي اعظمَ فيكِ فتنتي
لا تغضبي فلم تكن جنايـتي في يقظـتي
نعم حلمتُ انـني قد نِلتُ اقصى بغيتي
وأنَّ قلبَ مَن أحبـ بْ هـامَ في محبـتي
جريمـةٌ أثمتُهـا يا ويحها جريمـتي
لكنها لقد جرتْ سيـدتي في غفلتي

وسوفَ اقتصُّ من الـ رُقادِ يا مليكتي
بل فاصحني عن ذنبهِ فانَّـهُ وسيلـتي
اذ انني لولاهُ مِنـ ـكِ لم افزْ بلمحةِ
ولا حلمتُ بهوا كِ بي وهـذا مُنيتي
أيرتجى هواكِ صـ ـبٌّ عاقلٌ في اليقظةِ
وكيفَ يمتدُّ اليـ ـكِ بَصَرٌ يا مهجتي ؟
انَّ البكا يشغلُني في يقظتي عن نظرتي

* * *

اليـكَ يا مـلاكَ رة مدتي وراعي مقلـتي
ادعو فتقبَّلْ فوقَ أجـ ـفاني وغيِّبْ فكرتي
وابسُطْ على عينيَّ من جودكَ اهنى نُعسَةِ
لعلَّ حلمَ الامسِ يبـ ـدو لي بهذي الليـلةِ
للهِ ما ابدعَ ما ارى بتلكَ الخُلسَةِ
وايُّ مَشهـدٍ يبيـ ـنُ لي بتلكَ البغتَةِ
ارى بعين الروحِ ما يُسكرني من دهشةِ
لا يستطيعُ وصفَ غِبْـ ـطتي لسانُ اللُغةِ

* * *

ومـنزلٍ سكنتهِ اضحى سمآءَ البُقعةِ
ولا وصولَ للسما ـءِ قبل يومِ النفخةِ

وقيلَ إنَّ النوم في الـ حقِ شقيقُ الميتَةِ
فصرتُ من اجلكِ اهـ وى ميتتي او نومتي
عسايَ ان اذوقَ من مَرآكِ شِبهَ اللذَّةِ
اذ لذَّةُ اللقآء في سَماكِ فوق قدرتي

* * *

اراكِ قد قطَّبتِ لي وجهَكِ يا أميرتي
كأنكِ استعظمتِ لي بلوغ تلك النعمةِ
إن كانَ ذنبي في منا مي موجباً عُقوبتي
رحماكِ حسبي ما ارى في يقظتي من غصَّتي
اذ كل ما شاهدتُهُ من نِعمةٍ وغبطةِ
ما كانَ الاَّ حُلُماً قد مرَّ مثلَ طرفةِ
ولم افُزْ من حُسنهِ الا بشبهِ اللمحةِ

* * *

وقد ترينَ في الذي شرحتُهُ من قصَّتي
جنايةً لكنَّني جنيتُها في غفلتي
وليتَ قد علمتِ ما اشعُرُ عند هبَّتي
منذُ غدا طيفُكِ لا يمرُّ بي في هجعَتي
واكدري وألمي واحسرتي واوحشتي
حسبي بها عقوبةً أُجزى بها في يقظتي

يا مُنيتي يا رحمتي يا نعمتي يا جنّتي

سنة ١٩١٣

قال ومما كتبته الى اهل بيتي من ورآء البحر

ما بالُ قلبكَ ان جرى ذكرُ الاحبّةِ يضطربْ
او سارَ ركبٌ نحوَهم باتت دموعُك تنسكبْ
او شمتَ برقاً خلت أنّ لكَ بتّ منهم مقتربْ
اين الذي اوعدتني هل كان صبرُكَ من كذبْ

وقال وطلب مني ان اقول في مليحة اسمها هندٍ على لسان عزيزة عليّ

يا كرمَ الناسِ عهدا واصدقَ الصحب ودّا
ما زادنا البعدُ الاّ شوقاً اليكم ووجدا
للهِ اوقاتُ انسٍ من هزلها البعدُ جدّا
كانت من العمر عرساً كانت من الحَلي عقدا
كانت من الحظِ وعداً كانت من الوعدِ نقدا
يا ربّةَ اللطفِ اني حالفتُ بعدكِ سهُدا
ملكتِ منيَ قلباً قد صدّ غيرك صدا
فليس يصبو لحسنٍ مذ راح يعشقُ هندا

سنة ١٩١٣

وقال

يا مَن رأيتُ بهِ الاداب في رجلٍ غضّ الشبابِ اديبٍ قبل تأديبِ

قد قلتُ للدهر مذ نادى بفرقتنا ... ثنِ اجتماعي بأسعافِ النشاشيبي

سنة ١٩١٠

وقال في باريس قبل اول يوم من الصيام الكبير

هل من مطمع بعد المرفع (١)

عفوتُ حتى لا أُريد العتابْ ... جدّدتَ لي يا دهرُ عهدَ الشبابْ

لِعبٌ وضحكٌ مثلما نبتغي ... مع الفِ خودٍ دونَ لومٍ وعابْ

ورميُ تلك الراميات بما ... رمينا من ورَقٍ كالحُبابْ

ملوّنٍ تحسبهُ أنجُماً ... تساقطت على الملا كالسحابْ

نرشقُها في وجهِ مَن نشتهي ... في عُرضِ الشارع دون حجابْ

يحجبنَ بالايدي وجوهاً غدت ... تحكي شموساً خشيةً ان تُصابْ

فنقتفيها لا تحسُّ بنا ... إلاّ وايدينا غدت في الرقابْ

حتى اذا ما عرضت لفتةٌ ... منا رُشقنا رشقةً كالعُبابْ

وبينَ هذا كُلهِ كلمةٌ ... تحلو وزجرٌ ليس فيه غُضابْ

وقفزةٌ كالظبيِ او صرخةٌ ... لاتفزعُ الضاربَ عن ذا الضرابْ

او قبلةٌ مغصوبةٌ جرّها ... مزيدُ غنجٍ لم يكن في الحسابْ

يومٌ وليلٌ قد طرحنا الحيا ... عنا بعيداً مذ تخذنا نِقابْ

---

(١) الرفع عند النصارى هو الاسبوع الذي يتقدم اول الصيام الكبير وهو لفظ عربيٌ واشتقاق صحيح قال في القاموس واسترفعه طلب رفعهُ والخوان نفد ما عليه وحان ان يُرفع .

لله ما احسنَ دارَ الهنا باريسَ كلُّ العمرِ فيها شبابْ
يا يومَ باريسَ المُنى طُلْ بنا يا ليلَ باريسَ الصفا دُمْ شهابْ

باريس ٤ شباط سنة ١٩١٣

في الكنيسة نكتة باريزية

وذاتِ حسنٍ وقدرٍ قامت بمجلسِ برّ
تستوهبُ القومَ رِفداً لاهلِ ضرٍّ وفقرِ
وكانَ فيهم اميرٌ أُصيبَ منها بسحرِ
ما زالَ يرنو اليها اسيرَ طرفٍ ونحرِ
حتى دنت منهُ تزهو على غزالٍ وبدرِ
فجاد بالمالِ سَمحاً وقالَ همساً كسرّ
لحسنِ عينيك هذا يا فتنتي بعد شكري
فاستضحكت ثمّ قالت واللفظُ منها كدرّ
وللشمالِ ادارت مطمورةَ المستدرّ
والان جُدْ يا اميري للمعوزينَ بجبرِ
فجادَ مثنىً ونادى غنمتِ شُكري واجري

باريس كانون الاول سنة ١٩١٣

وقال وهو في جنان فرساي

اجري ومن فرط سرو ري رحتُ اجري ادمعي

اذكرُهمْ وكم اقو لُ ليتهم كانوا معي
اشتاقهُم وانَّهُمْ في ناظري ومسمعي
بل انَّ روحي عندَهم فهم معي باجمعي

باريس سنة ١٩١٣

وقال ايضاً في فرساي

سرَّحتُ في حسنِ فرسايَ النواظرَ والـ
امالُ تنشدُ يا أيامَنا عودي
هذي الربوعُ سقاها الغيثُ لا برحتْ
مخضرَّةَ العيشِ والاوراقِ والعودِ

باريس في ١٣ ايار ١٩١٣

وقال في مدينة لندن العظيمة

زرتُ لندنَ ربَّةَ المدنِ والشمـ ـسُ تجلَّت انوارُها في الرياضِ
نعمةٌ تلكَ لستُ اجحدُها اذ أُفقُ لندنَ دائمُ الانقباضِ
ان تكن شمسُها قذ احتجبت فالـ ـنورُ فيها كالبرق في الايماضِ
غير اني وجدتُها جنبَ باريـ ـزِ الفتاةِ الهيفآءِ ذاتَ المخاضِ
كهلةً إنْ تستَّرت او تعرَّتْ شيبَ منها الجمالُ بالانقباضِ
لو يكونُ الجمالُ في بسطة الجسـ ـسمِ لحازتهُ دونَ وجهِ اعتراضِ
فلها كلُّ شارعٍ كليالٍ من اشدِّ الشتا طوالِ عراضِ

ولها من قصورها كل قصرٍ يترك الطرفَ حاسراً في انخفاضِ
ولها كلُّ متحفٍ قد حوى ما عزَّ من جوهرٍ ومن أعراضِ
ولها من جنانها كلُّ روضٍ مفردِ الاخضرارِ بين الرياضِ
ثمَّ فيها التامز كالسينِ يجري وكثيرٌ من واسعاتِ الحياضِ
وجرت تحت ارضها عجلاتٌ حسنٌ اتقانها ورآءَ التقاضي
حرَّكتها للكهرباءِ اياد حاضرُ الامرِ عندها فعل ماضِ
ومغانٍ للهوِ والانسِ فيها ما تحبُّ النفوسُ من اغراضِ
ونساءٌ يعرضنَ في سوقِ فسقٍ ويبعنَ الأعراضَ بالاعراضِ
ثمَّ فيها من المحاسنِ والاضـ ـدادِ ما في باريز ذاتِ الارباضِ
غير ان الجمالَ ليسَ يروقُ الـ ـعينَ الاَّ بنسبةِ الأبعاضِ
كلُّ شيءٍ يبدو بباريزَ في أبـ ـدعِ طرزٍ من الجمالِ المفاضِ
حازَ سكانُها من الذوق اسما هُ ونالَ الانامُ محضَ النقاضِ

الجلوة

او

آخر خميس فى باريس

أهي الجنةُ التي وعدَ اللـ ـهُ بها المتقّين ام باريسُ
وهو وردٌ على غصونٍ تمشت ام بدورٌ تنزّلتْ وشموسُ
ام هي الحورُ في مطارفِ خزٍّ ام غوانٍ بين الرياض تميسُ

ام هي الظبياتُ ام غاوياتُ ساحراتٌ يُغري بها ابليسُ
وبروقٌ بالفِ لونٍ على الحيـ ـطانِ تبدو ام ضوؤُها المحسوسُ
وقصورٌ تزينت برياشٍ وحوت كلَّ ما تحبُّ النفوسُ
من طعامٍ ومقعدٍ وكتابٍ وكؤوسٍ تُجلى بها الخندريسُ
ام دكاكينُ يُضرب العودُ فيها ويباعُ المفروشُ والملبوسُ
وورآء الزجاج في الف دكّا نِ الوفُ المتاعِ زاهٍ نفيسُ
ام تصاويرُ تلك تستلبُ اللُّـــبَ ويعنو لحسنها البرجيسُ
بل عروضٌ تنزهت عن مثالٍ حاطها بالكمال ذوقٌ رئيسُ
ليس فيها قولٌ لِليتَ ولا في صنعها خدعةٌ ولا تدليسُ
وسهامٌ هاتيكَ ام عَجَلاتٌ دونَ خيلٍ عرضَ البلاد تقيسُ
وسواها تسيرُ في عُرُض الشا رعِ كالبرق ام قصورٌ تميسُ
ناقلاتٌ من الخلائق عشرا تٍ بادنى الاجورِ فيها جلوسُ
وبساتينُ هذهِ ام ممرُّ الـ ـحورِ ام ساحةٌ فيها التعريس ؟(١)
ونجومٌ قد رُكِّبَتْ فوق عمدٍ ام مصابيحُها عليها شموسُ
وترى كيفما توجهت ظرفاً وجمالاً تهيمُ فيه النفوسُ
وجناناً تنسيك ما قيل في جنـ ـاتِ عدْنٍ واليوم تلك القدموسُ
تلك كانت يوماً لقومٍ وقد اضـ ـحت عجوزاً واليوم هذي عروسُ

---

(١) التعريسُ في اللغة نزول المسافر في آخر الليل وقيل في اي حين كان من ليلٍ او نهار .

وعروشاً واينَ بلقيسُ منها آيةً ما تخيلتها بلقيسُ
ودمىً فوق اعمدٍ نصبوها لو رأتها لطأطأت ممفيسُ
أدمىً تلك ام ملائكُ حسنٍ قد تدلتْ فعُلقتها باريسُ
من رخامٍ كالعاج والظرف فيه منشدٌ ما لذا الجمال مقيسُ
ولاهلِ العلومِ شادوا تمانٍ لاً لاعظامها تخرُّ الرؤسُ
ولأرماسهم اقاموا بناءً سامياً ليس يعتريه درُوسُ
عَبَدُوا العلمَ والجمال واضحوا أمةً عندها الكمالُ حبيسُ
فألوفٌ من تحتِ باريس تجري والوفٌ فوق الهواء تجوسُ
وألوفٌ من الخلائق في احـ ـيائها سائرون او هم جلوسُ
وألوفٌ تسعى للهوِ وقصفٍ والوفٌ لها الكتابُ انيسُ
والوفٌ الى الكنائسِ تجري كلما دقَّ للصلاةِ الناقوسُ
والوفٌ تجري الى الرزقِ جرياً كلُّ جريٍ سواهُ جريٌ هسيسُ
والوفٌ على البنواخر في النهـ ـرِ كأن ما سواهُ درب طميسُ
وبيوت التعليم فيها الوفٌ ولكلِ العلومِ فيها دروسُ
وبيوت التمثيلِ فيها قصورٌ جنبها ما بنى الوجوهُ خسيسُ
تتجلى فيها الفصاحةُ والأـ ـدابُ حتى يعنو لها طاليسُ
والصناعاتُ ثمَّ حازت كمالاً باختراعٍ ما جاء فيهِ القاموسُ
وقصورُ الملوكِ اضحت مجامي ـعاً وفيها القماطُ والناووسُ
كلُّ شيءٍ من اقدم الدهرِ ثاوٍ تتجلى للبيبِ منهُ طروسُ

كلُّ علمِ الماضينَ قد بان مما صنعوهُ فلم يصبهُ طُموسُ
رُبَّ قصرٍ قد كان مرتعَ ظلمٍ لأُناسٍ على هواها تسوسُ
فغدا للقضاءِ والعدلُ فيهِ صارخٌ انا في فرنسا رئيسُ
وقصورٌ يُلقي على الناسِ فيها خطبَ العلمِ كافرٌ او قسيسُ
فهُنا المؤمنونَ ليس لهم فرْ قٌ عن الكافرينَ او تقديسُ
وهنا الحاكمون فيها يهودٌ ونصارى وشيعةٌ ومجوسُ
قد سما العدلُ في الحقوقِ لديهم وتساوى الرئيسُ والمرؤوس
لا تباعُ العلوم فيها باموا لٍ ولكن لها تباعُ النفوسُ
اينما سرتَ في شوارعها صا حَ بك العلمُ منيَ التأسيسُ
كلُّ حسنٍ تراهُ مني وعني وبدوني ضياؤها تغليسُ
ان عرشي فيها لعرشٌ عليٌّ عبدتهُ دون الورى باريسُ
لا تحيطُ اللغاتُ طرًّا بوصفٍ يرتديهِ جمالُها المحسوسُ
شاردُ اللفظِ عند نظمي مطيعٌ ولدى وصفها عصيٌّ شموسُ
كلُّ ما في باريس شعرٌ وحسنٌ آيةٌ فتنةٌ كمالٌ نفيسُ
كلُّ ابنائها يذوقُ جمال الـ علمِ حتى شريرُهم والخسيسُ
كلُّ انثى لها من العلم والفضـ لِ جمالٌ تُحنى لديه الرؤوسُ
ليس في الغاوياتِ من لا تذوق الـ شعرَ حتى يُقالَ نعم الجَليسُ
كلُّ عيبٍ يُمحى بباريس الاّ الـ جهلَ فهو الشنارُ والتدنيسُ
يتبارونَ في العلومِ ورحنا تتبارى وعلمُنا التلبيسُ

ليس مَن راجت الصحائفُ فيهم مثلَ من عندهم يروج الدسيسُ
ليس مَن عظّموا مقام أُولي العلـ ـمِ كمَن عندهمْ تُعزُّ الفلوسُ
ليس من حالف الجمودَ قروناً مثلَ من غادرَ الجمادَ يميسُ
قُسمَت في الورى الحظوظُ فبعضٌ
في سعودٍ وبعضُهم منحوسُ
وكذاكَ البلادُ منها جحيمٌ بذويها وبعضُها فردوسُ

باريس في ١٥ ايار سنة ١٩١٣

وقال

نضت نقابينِ قد كانا لنا شركاً
عن حسن وجهٍ ونفسٍ خلتُها نورا
فغاب من حسنها ما كان منتقباً وبان من فسقها ما كان مستورا

وقال

اقنعْ من الدنيا بما اعطت ودعْ عنكَ الطَمعْ
كنْ حازماً لا تجزعنْ لِبؤسها كلَّ الجزعْ
واذا حبتك سرورها فاحذرْ مغبّات الشبعْ

وكتب تحت صورته

رُسومُنا تفنى واجسامُنا تبلى وهذي سنّةُ الكونِ
وليس يبقى غيرُ آثارِنا مَن لي بآثارٍ بها صوتي

وقال بعد اعلان الحرب الكبرى

داهية الدواهي

جنى قومٌ على الدنيا ... وشنّوا الغارةَ الشعوا
واذكوا نارها في الغر ... بِ بل والمشرقِ الادنى
ونادوا يا لثاراتٍ ... تبُتُّ الودَّ والقربى
وصاحوا يا لاطماعٍ ... واموالٍ لنا تُجبى
وقالوا ما لنا ذنبٌ ... فثقلُ الحملِ قد اعيي
وسلّوا كلَّ بتّارٍ ... وجرّوا كلَّ ما يُحشى
مجانيقاً لقذف النا ... رِ حتى المعقل الاقصى
رصاصاً في انابيبٍ ... من الفولاذِ او افسى
وخيلاً عودوها الخو ... ضَ في الاهوالِ والبلوى
واسطولاً اعدّوهُ ... ليومٍ اسودٍ اعمى
وطيارينَ قد شالوا الـ ... منايا في الفضا الاعلى
كُراتٍ حشوُها نارٌ ... فان تُرشقْ فما ادهى
فللتدميرِ ما شادوا ... وللاحراقِ ما استعصى
ورايـاتٍ وآلاتٍ ... بها يُصعدُ او يُدلى
وظُلماتٍ وانوارٍ ... بها يُعمى ويُستجلَى
وشبّانٍ الى شربِ الـ ... ـردى سيقوا بلا استثنا

وماجَ البَحرُ بالاسطو ... لِ فالحيتانُ لا تَروى
وضاقَ البرُّ بالعسكـ ... ـرِ حتى عمّتِ البلوى
وغصَّ الجوُّ بالراشـ ... ـقِ حتى اذعرَ الشعرى
وصاحَ البوقُ صيحاتٍ ... اعادتها بشو الهيجا
منـايا كم دنت منكم ... اذا لم تدفعوا الاعدا
وقيلَ اقذفْ بنارٍ يا ... اخا المدفع لا تَعبا
ويا ارضُ اشربي من دَ ... مِ اعدانا كما نُسقى
ودارَ الموتُ الواناً ... فما ابشعَ ما غـذّى
فمن جدعٍ ومن شترٍ ... ومن شرمٍ اذا اشوى
ومن جذمٍ ومن قطعٍ ... ومن مسحٍ اذا اصمى
وإقـدامٍ واحجـامٍ ... ومَن الوى ومَن اودى
وطعّانٍ ومطعـونٍ ... ومَن اشفى ومَن اهوى
وصرخاتٍ وآهـاتٍ ... وزعقـاتٍ بدت تـترى
ومعفـوسٍ ومـطروحٍ ... وما من راحمٍ يُلفى
ومرعـوبٍ ومهزومٍ ... ولا حامٍ ولا ملجا
وغطّـى الارضَ اجسادٌ ... تقاسي النزعَ كالاشلا
فطيرُ الجوِّ في ذُعرٍ ... ووحشُ البرِّ قد اجلى
وماءُ النهرِ مكدَرّ ... ونبتُ الارضِ قد اقوى
وحصنٌ قد غدا في الجو ... يحكي حنطةً تُذرى

وبـــلدانٌ واقطـــارٌ بنيرانٍ غدت تُذكى
فلا عينٌ ولا رسمٌ ولا حيٌّ ولا مرعى
واطفالٌ واشياخٌ تنادي يا ذوي الجدوى
ونسوانٌ بلا مالٍ ولا عونٍ ولا مأوى
تنادي الامُّ وآبنا هُ ما هذا القضا الاعمى
ومَن يكسو ومن يُطعـ مُ اولادكَ والثكلى
وكم نوحٍ على صخرٍ وكم في الحيِّ من خنسا :

* * *

بلادٌ طالما كانت نعيماً لِبني الدنيا
ديارٌ قد عهدناها ربوعَ الحسنِ والحسنى
بها ما شئتَ من فضلٍ ومن علمٍ ومن عُليا
وعُمرانٍ يفوق الوصـ فَ والتشبيهَ والاحصا
ولم يسبقْ لهَ مثلٌ بتأريخٍ لنا يُروى
فوالهفاً وواويلاً على الجرحى على القتلى
وواحزنَ النُهى في عُرـ سِ اهل الشرِّ والحمق
ويا ويحَ الملاهي والـ اماني والبها الاسنى
وهاتيكَ المباني والـ مغاني والعُلى الاسمى
وروضاتٍ وجنّاتٍ وما يُشهى وما يُفدى
وواعارَ البرايا في وحوشٍ شبّتِ الهيجا

لهم في الناس حكمٌ كلُّهُ جورٌ ولا يُعصى
دعوا للحرب باسم الحَـ ـقِّ ما استحيوا من الدعوى
ويأبى الحقُّ دعواهم وجلَّ الحقُّ ان يخفى
وخانوا عهدَ جيرانٍ لهم قد احسنوا الرعيا
ومانوا بالذي قالوا وداسوا ارضَهمْ بغيا
فما اوفوا بموعودٍ ولا بالوا بما يحكى
تعدّوا كلَّ قانونٍ وعاصوا كلَّ ما يُنهى
فمَن في اسرهم عانٍ ومَن واسوا من الهلكى

* * *

وواتبّاً لمغرورٍ الى شر البلا يسعى
وشبَّ الحرب حتى عمَّـ ـتِ الدنيا بلا استثنا
فاصبحنا ولا مالٌ ولا شغلٌ ولا ملجا
كسادٌ طبَّقَ الدنيا وغمُّ الموتِ في الاحيا
وفقرٌ عمَّ كلَّ النا سِ عند الصدمةِ الاولى
كأنْ لم تكُ دولاتٌ ولا ذو نعمةٍ يُرجى
ولا مَن يبذلُ الآلا فَ للراحةِ والملهى
ولا ربواتُ حسنٍ من بهاها تبسمُ الدنيا
فيأسٌ في وجوهِ النا سِ يروي دهشةَ البلوى
وسيفُ الحربِ مسلولٌ ونهرٌ من دمِ الاحيا

وغيدٌ تضمدُ الجرحى وجرحى تدفنُ القتلى
ولم يسلم من الاقطا رِ الاّ قُطرُ أميرْكا
على ان الشقا في هَذهِ ايضاً بدا يُلفى
وهذا اول البلوى وقد لا تسلمُ الأُخرى

* * *

جنى هذي البلايا مَن عليهِ اللعنةُ العُظمى
وقالَ الناصروهُ سَو فَ نجني الغايةَ القُصوى
فامصارٌ لنا تعنو واموالٌ لنا تُجبى
ونسبي كلّ اسطولٍ ويعلو مجدُنا الشعرى
وقيل اصلوهمُ ناراً تُلظّي منهمُ الاحشا
ولا تبقوا ولا تُعنَوا فقتل المعتدي أنفى
وثلّوا عرشَ جبارٍ قد استكبر واستعلى
ودينوهمْ بما دانوا وجزّوا ملكهُمْ اجزا
وقولوا ليس للحاسـ ـدِ الاّ الدَركَ الادنى
وردّوا ملكمْ ردّاً يسوّي فخركم ازهى

* * *

وباتت دولةُ الباغي حديثاً في الورى يُروى
اذا اجرى لها التأريـ ـخُ ذكراً قال قد اخنى
واما دولةُ الشيخ الـ ـذي فاتحَ واستعدى

فذي فيها قضاء النسخ محتومٌ فلا يُعصى
الى الطليان تيرولٌ بلا حربٍ لها الرجعى
وبولندٌ الى البولـ ـد من بعد النوى تُضوى
ويُحيي شملَها عدلٌ عقيب اليأس والبلوى
وقومٌ مجرٌ عنها يرونَ المنتأى اولى
واقوامٌ سوى من عُدّ دِوا عن حكمها تنأى
وجرمانٌ بحرمانٍ وتفريقٍ غدت تُجزى
فتقسيمٌ لمجموعٍ وتشتيتٌ به تُخزى
وتغريمٌ لاهل الشر ـ والحيلةِ والدعوى
وكشفُ المكرِ عن عاتٍ يغشُّ الناسَ بالتقوى
وحطٌ من مكوثٍ عن بلادٍ ثُقلها اوهى
وتعميرٌ وترتيبٌ ونشرُ العلم في الدنيا
وسقياً للألى فكوا جيوشَ الجندِ والاسرى
همُ ردّوا عن الاحرا رِ كابوساً حكى رضوى
اذالوا حكمَ طاغٍ قا لَ إنَّ الحقَّ للاقوى
وكادَ الحكمُ حكم الاء صرِ الوسطى لنا يتلى
فلا قامت لاهل الشر ـ قائمةٌ مدى المحيا

١٤ ايلول سنة ١٩١٤

وقال في اخلاق حسود

يا حزيناً يقضي الحياة كئيبا ... وعليلاً اعيا شفاهُ الطبيبا
خيّمَ اليأس فوق وجهكَ حتى ... غادرَ البشرَ نائحاً مرعوبا
اعينٌ ترسلُ الغمومَ كسهمٍ ... حيثُ وجهتَهُ اراعَ القلوبا
أبدَ الدهرِ انتَ حلفَ همومٍ ... فيكَ تزدادُ ما رأيتَ طروبا
واذا ما نظرتَ وجهاً جميلاً ... رحتَ من حسنهِ غضوباً قطوبا
واذا ما سمعتَ صوتاً رخيماً ... او فصيحاً في مجلسٍ او خطيبا
او ثناءً على امرئٍ بتَ من ذَ ... لك شهراً مسهّداً مكروبا
واذا قيلَ في الانام غنيٌّ ... اضرمَ القولُ في حشاكَ لهيبا
كلُّ هذا وانتَ من نِعَمِ الرح ... مانِ قد نلتَ اسهماً ونصيبا
ما الذي كان منكَ يظهر للعا ... لمِ لو كنتَ معدماً منكوبا؟

سنة ١٩١٥

ذكرى لبنانه

نقّل الطرفَ في ربوعِ الامانِ ... أينما شئتَ فهي بعضُ الجنانِ
بينَ عينِ الصفا وعينِ زَحَلتا ... منظرٌ عزَّ وصفُهُ بلسانِ
بقعةٌ صاغتِ الطبيعةُ فيها ... آيةَ الحسنِ فتنةَ الازمانِ
برزَت للعيانِ عاريةً من ... كلِّ ثوبٍ من صنعِ هذا الانسانِ
فجبالٌ تلت جبالاً تلتها ... غيرُها كالغيومِ في نيسانِ

وجبالٌ علت جبالاً كأنّ الـ ... رأسَ منها في مَطلعِ الدَّبرانِ
طرَّزتها يدُ الطبيعةِ بالاشـ ... ـجارِ تخفي الاحجارَ بالاغصانِ
وكستها منها ثيابَ جمالٍ ... ليسَ تبلى بطارقِ الحدثانِ
رُصِّعَتْ مثلما ترصعَ تاجٌ ... بقرىً قد حكت عقودَ جُمانِ
بعضُها عندَ قِمّةٍ وسواها ... عندَ سفحٍ والبعضُ في الكثبانِ
جُلُّها قد حوى قصوراً لها أو ... فرُ حظٍّ من محكمِ البنيانِ
خندقوا القصرَ بالحديقةِ والما ... ءُ لديهمْ يجري بكلِّ مكانِ
غابةٌ من صنوبرٍ اثرَ غابٍ ... كخيامٍ مخضرّةِ الالوانِ
قائماتٌ اشجارُها كجنودٍ ... في ثغورِ البلادِ يومَ طعانِ
ظلُّها وارفٌ فلا تنفذ الشمـ ... ـسُ اذا لم تدقَّ كالخيطانِ
حجبتْ عن رُؤسنا شمسَ تمو ... زٍ فبتنا من حرِّها في امانِ
ربما غابةٍ اباحت لنور الـ ... ـبدرِ وصلاً من ابدعِ الطيقانِ
وسرت في غصونها نَسماتٌ ... روّحتْ باعتلالِها كلَّ وانِ
ثم نقّلْ خُطاكَ في وادي العَيـ ... ـنينِ وانظر مسارحَ الغزلانِ
كلُّ روضٍ حكى بساطاً انيقاً ... احكمت وشيَهُ صَناعُ القيانِ
ومروجٌ يسيلُ فيها لُجَينٌ ... دَفقتهُ عينانِ نضّاختانِ
نحن في هذهِ الربوعِ نرى السا ... عاتِ تمضي كما تمرُّ الثواني
نقطفُ الكرمَ باكراً نجتليها ... وهي بكرٌ على عتيقِ الدنانِ
كلُّ دَنٍّ يصبُّ فيه حتيتُ الـ ... ـبدرِ حتى يُظنَّ في غَلَيانِ

او هو الثلجُ ذائبٌ او هو الكو ... ثرُ يجري في حوض هذي الجنانِ
فاذا تمَّ عقدُ كلّ حبابٍ ... نُثرَ الحبُّ عن مثيلَ الجُمانِ
فالتقطناهُ واعتصرناهُ خمراً ... سال تحت الاضراس فوق اللسانِ
هو كالشهدِ ذائبٌ مُزِجَ العنـ ... ـبرُ فيه فما خمورُ القنانِ
لذَّةُ الشيءِ حسن ادراكِ ما فيـ ... ـه واينَ الادراكُ من سكرانِ
ان دعاكَ امروءٌ الى السكر فاعلمْ ... انَّها دعوةٌ الى الخسرانِ
فاصحُ واقبل حوالي الفجر وانظرْ ... من رفيعِ الاجبالِ هذي المغاني
تلقَ فوقَ الذي وصفتُ واين الـ ... ـوصفُ شعراً من واضحٍ للعيانِ
واذا مالتِ الغزالةُ نحو الـ ... ـغربِ فالحسنُ في اتمِّ المعاني
بعضُ هذي الجبالِ يلبسُ ثوب الـ ... ـظلِّ واللونُ منهُ لونُ دخانِ
وسواها وقد علاها اصفرار الـ ... ـشمسِ لونَ الخريف قبل الاوانِ
وسواها اكتسى من الشفقِ البا ... هرِ لونَ المودّعِ الحيرانِ
او هوَ الفجرُ والظلامُ اقاما ... ساعةً في الجبال يصطرعانِ
ثمَّ يعلو بجيشهِ ملكُ الليـ ... ـلِ مُدلاً بفوزهِ في الرهانِ
كلُّ يومٍ لنا من الانسِ عيدٌ ... كلُّ وقتٍ من المسرّاتِ دانِ
انما المرءُ بالهمومِ دفينٌ ... وهو حيٌّ إنْ ينسَها كلَّ آنِ

وقال

لو كنتَ في دعوى المحبةِ صادقاً ... لوجدتني اصفى الانامِ ودادا
لكنْ سعيتَ بنقضِ ما اسَّستهُ ... فعليكَ سعيُكَ بالمضرَّةِ عادا

وقال وهو من باب لزوم ما لا يلزم

انا مثلما شئتِ وشآء دلالُكِ ... فعلى م قلّ عن المحبّ سوألُكِ ؟
اتراكِ قد القيتِ سمعاً للعدى ... حاشاكِ ان يرضى بذاكَ كمالُكِ
في كلّ يومٍ للعذولِ وشايةٌ ... لا عاشَ عُذّالي ولا عذّالُكِ
أمَدى الحياةِ تجرُّمٌ وتعتُّبٌ ؟ ... فمتى البرآءةُ والرضى ووصالُكِ
لكِ دولةٌ ملكت عقول ذوي النهى ... فليسمُ ملكك وليعزُّ جمالُكِ
لا ينتهي في العشقِ بي زَمنٌ كما ... قد فاتَ حسنَ العالمين مثالُكِ
لكِ طاعتي فتحكّمي وتأمّري ... فلقد أُطيعُ لما يشيرُ خيالُكِ
ان كان عدلُكِ يستبيحُ منيّتي ... فلقد رضيتُ بها ولستُ إخالُكِ
او شئتني سهماً بافئدة العدى ... كنت المصيب وقد حكته نبالُكِ
او شئتني سحراً بالباب الورى ... جاريتُ ما اجرتهُ بي افعالُكِ
او شئتني غصناً يحركهُ الهوى ... فلقد أُرى وكما تُحبُّ خلالُكِ
او رمتِ أن ادنو فاطوعُ عابدٍ ... او شئتِ هجراً قلت جلّ جلالُكِ

سنة ١٩١٦

وقال معرباً عن الفرنسوية القصيدة المعنونة بما يأتي

La Bohemienne mignon

او MIGNON

واولها ? Demain dis-tu ; qui sait si nous serons demain

L'avenir est à Dieu, le temps est dans sa main

الفتية النورية

تقولُ غداً هل تدري ما يَلدُ الغدُ ... وهل غيرَ ربِّ الخلقِ يعلمُ ما يبدو
يُسمّونني سُعدى ولم ادرِ غيرَهُ ... فهل انا من سعدٍ بحقكِ يا سعدُ
تُكرِّرُ هذي الغابُ زهراً ويابساً ... وما مرَّ في فكرٍ لاعوامي العدُّ
فواحسرتي قد نامت الامُّ دهرَها ... كذلكَ ماتَ الماردُ الاكبرِ القردُ
بعيشكَ هل تدري من الارضِ بقعةً ... بها شجرُ الليمونِ يزهرُ والوردُ
بلادٌ تحومُ النحلُ من فوقِ زهرِها ... مدى العامِ لا حرٌّ هناكَ ولا بردُ
بلادٌ يَظلُّ النورُ يضحكُ دائماً ... بنعمةِ ربٍّ لا يفي فضلَهُ حمدُ
ربيعٌ مقيمٌ تحت ابدعِ زرقةٍ ... من الجوِّ والاطيارُ من حسنها تشدو
تحفُّ بها الأجبالُ عند جنوبها ... وبالبحرِ من نحوِ الشمالِ لها حدُّ
تعهّدُها ريحُ الصبا في فصولها ... فلا حرُّها يقسو ولا البردُ يشتدُّ
هنالكَ صاحبتُ البلابلَ في الضحى ... وظلّلني النسرينُ والآسُ والرندُ
وعاشرني فيها الجآذرُ والظبى ... وآنسني في الليلِ بدرٌ مسهّدُ
وسامرتُ فيها كلَّ عينٍ نقيةٍ ... واضحكني برقٌ وافزعني رعدُ
هنالك للاغصانِ سرٌّ تعانقت ... لتكتمَهُ عني فباحَ بهِ الندُّ
اراقبُ بعد النومِ للفجرِ طلعةً ... تُزحزحُ سترَ الليلِ والليلُ مسودُّ
لأشهدَ خلفَ الستر ذاتَ محاسنٍ ... يحجّبُها كالغيمِ من عتمةٍ بُرْدُ
ومن بعدُ يبدو شخصُها وكأنّها ... تعرّت من القمصانِ اذ باشرت تبدو

فابصرها خلفَ البحارِ غمامةً تسحُّ بخارَ النورِ والنورُ يمتدُّ
فانفر نحوَ الغاب من حرّ وجهها واشهدُها تعلو كما يعتلي البندُ
تظلّلني من لفحها أيكُ غيضةٍ عصافيرُها تشدو وليس لها حدُّ
فيا ويحَ قلبي كم يحنُّ لهجرةٍ الى جنةٍ عنها يُجنّبني السعدُ
[بلادٌ بها نيطت عليَّ تمائمي] بها طفلةً قد كنتُ ارقصُ او اعدو
هناكَ حياتي والنعيمُ وجيرتي اليها نزاعُ النفسِ والميلُ والقصدُ
بحقّكَ هل تدري هنالكَ منزلي وقوماً لعودي شوقهم فاضَ والوجدُ
وهل بهوُهُ يزهو باطفالِ عسجدٍ لهوتُ بها ويلاهُ كم بعدَ العهدُ؟
وهل من رجالٍ من رخامٍ به كما عهدتُهمُ لم ينفرط بينهمْ عقدُ
اراهم اذا ارخى الظلامُ ستوره و كُلاً يناديني وقد مُدّتِ اليدُ
وهل ساحةُ الرقصِ الفسيحةِ لم تزلْ تُظلّلُ اهلَ البيتِ اشجارُها المُرْدُ
وهل لم تزل تلك البُحيرةُ مثلما عهدتُ بها فُلكٌ خفافٌ لها زبدُ
تحاكي عصافيراً تسبحُ ربّها وتسبحُ في تلك المياهِ وترتدُّ
فيا أسفي هل من سبيل فأقتفي خُطاكَ الى ارض بها استفحلَ البعدُ
هنالكَ أرضعتُ الصبابةَ والهوى وفارقتُ اهلي قبل انْ ينهدَ النهدُ

هُنالكَ اهوى العيشَ والموتَ في الهوى

هناكَ نعم هل مسعفٌ لي يا سعدُ ؟

سنة ١٩١٧

اذا ما مواثيقُ الاخاءِ تقطَّعت ولم تحملوا ضيمي كحملي عنكمُ
ولم تكُ منكمْ للعهود رعايةٌ فلا انتمُ مني ولا انا منكمُ

وقال في سان جرمان ضاحية من ضواحي باريز واحدى متنزهاتها

تحتَ الجبالِ خمائلٌ وغياضُ وعلى الجبالِ حدائقٌ ورياضُ
والنهرُ في الوادي كذائب فضةٍ يجري فتجري نحوهُ الاغراضُ
ووراءَ هاتيك التصورِ وتلكمُ الـ جنّاتِ حسنٌ جامعٌ فيّاضُ
باريزُ يبدو للعيون جمالها كالشمسِ ليس تسترُها الاعراضُ
للهِ ما هذي البدائعُ كلُّها وصلٌ وليسَ لوصلها إعراضُ
متّعْ لحاظَكَ بالطبيعة إنّها نِعَمُ الزمانِ ومالها اعواضُ
ذكرُ الحمى والساكنينِ يشوقُنا وبهِ وقد عزَّ اللقا نعتاضُ

على بطاقة بريد في ١١ ايار ١٩١٣

وكتب في صدر رسالةٍ

لئن كنتَ قد اصبحت بالبعدِ قانعاً فما زلتُ ارعى الود في البعدِ كالقربِ
وإنْ كنتَ يا ربَّ الوفا لست ناسياً [فاينَ حلاواتُ الوسائل والكُتبِ]

قال وكتبت الى الصديق الاديب الفاضل احمد ذكي باشا في مصر

اصحابُنا في مصر قد ضيعوا اصحابَهم واستصحبوا الذكرى
سألتُ عنهم واحداً واحداً فنلتُ عنهم احسنَ البشرى

كأنهم قد حسبوا السعيَ في جمعِ الثرآءِ الغايةَ الكبرى
وضمنوا ان نلتقي بعد ذا للانسِ في الموعودةِ الاخرى

مصر في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٩

وقال

سادتْ بهذا الكون حكمةُ قاهرٍ تعنو لها الافهامُ عنوةَ قاصرِ
قضتِ الضرورة ان تُشوّهَ عقدنا بحجارة قُرنتْ بدرٍّ فاخرِ
إنْ نامَ حارسُنا وظلَّ رشيدهُ بالاسم ذا لبٍّ نحيل بأُرِ (١)
ورأيتَ شيخاً مولعاً بفتاتهِ بنتِ الكروم وبات ضحكة ساخرِ
قد قامَ معترضاً يقولُ الرأي أنْ نقضي كذا و كذا يجول بخاطري
وسواهُ يُبدي فهمَ ذي فهمٍ ولا يدري وحقكَ زابراً من زامرِ
فلكم إمامٍ فصاحةٍ فينا بدا وبلاغةٍ تزري بسحرِ الساحرِ
ولكم فقيهٍ بيننا انكشفت لهُ اسرارُ احكامِ القضاءِ الباهرِ
ولكم نبيهٍ قد اماطَ الحُجب عن حقٍّ طواهُ البطلُ طيَّ ستائرِ
لا بُدَّ من يومٍ تزول بهِ ضرو راتٌ قضت فينا بقرنٍ جائرِ
هل يستوي يا قومُ من علموا ومن لا يعلمونَ وهل لنا من عاذرِ

سنة ١٩١٩ الشام في مجلس الشورى في ساعة الراحة

وقال و كتبتُ الى الاخ الفاضل الاديب سعيد شقير باشا في مصر اودّعه

---

(١) كاسد

فؤادٌ ما تعدّاكمْ وقلبٌ ليس ينساكمْ
وطرف نالَ اقصى ما تمنّاهُ بمرآكمْ
دنا التوديعُ ليت الصبـ ـرَ يدنو بعد مثواكمْ
على اني وإنْ أنأى فانَّ القلب مأواكمْ
ولو خُيّرتُ ما جاور تُ في العالمِ إلاّكمْ
فأحيوا الودَّ بالتذكا رِ يحيي الصبَّ ذكراكمْ

مصر في ٢٤ اذار سنة ١٩٢٠

وقال

وطلب اليَّ في مجلس سرور بعض الاصحاب ان اقول في احدهم ابيات مداعبةٍ لحادثة معلومة على اربع قواف مثال [قولي لطيفكِ ينثني عن مضجعي وقتَ المنام] وهي مشهورة فقلتُ وارسلتُها على سبع عشرة قافية وهي التآء والجيم والحآء والدال والرآء والشين والضاد والطآء والعين والفآء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهآء واول ما قلت

لنا صديقٌ ان رأى خيال أنثى طربا
تحسبهُ وهو بها مُحملقٌ قد سُلبا
اعجوبةً نادرةً او صنماً مُختلبا

دمشق ١٥ آب سنة ١٩٢٠

وقلت ممازحاً لحادثةٍ

انَّ المؤذّنَ في دمشق مؤرقي بصراخهِ يا ليتهُ لم يُخلقِ

لو أنَّ خالقَ صوتهِ متسمّعٌ صرخاتهِ لأبحَّ صوت المُرهقِ
يدعو طُوال الليلِ دعوة سائلٍ او جائعٍ او ضائعٍ او احمقِ
ويقول قولاً ليسَ يُدرك كُنههُ ويظنُّ ليسَ يُجاب ان لم يشهقِ
ويخالُ انَّ الله طوع صياحهِ أو أنَّهُ ان لم يصحْ لم يُرزقِ
كيفَ السبيلُ الى اختلاسِ الطيفَ مَن
شبحِ الكرى ومؤذّني لم يرفُقِ
جوزيتَ يا متري بخدعةِ نازلٍ ومؤذّنٍ ومؤرّقٍ ومُطرّقِ
أبدلتني من غرفتي بغُريفةٍ وخدعتني يا شرَّ صاحبِ فُندقِ
فعليكَ مني كلَّ ليلٍ لعنةٌ ما صاحَ في ليلٍ مُؤذّنٌ جُلّقِ

في ٢١ اب سنة ١٩٢٠ دمشق

في حسودٍ كنود

عَيْنيٌ بنطق المدح حتى لو انَّهُ تكلّفَ حمد الله ضاقت مذاهبُهْ
ضنينٌ بلفظِ الشُكرِ يحسبُ انهُ اذا جاد بالشينِ استفاضت مواهبُهْ

وطلب اليهِ ان يقول تذكاراً لمرور مئة سنة على مولد العالم الخالد الأثر والفضل المعلم بطرس البستاني رحمه الله في ١٥ ت٢ سنة ١٩١٩ فقال

إن اصبحتْ بيروتُ دارَ مدارسٍ بل جنَّةً بالفضلِ والعرفانِ
فانظرْ اليها قبل مولدِ بطرسٍ تعلمْ بانَّ الفضلَ للبستاني

وقال وقدمها الى دولة صديقه رضا باشا الركابي حاكم الشام حفظهُ الله وادام عُلاه

في الشامِ دارُ الكتبِ مجدٌ لنا نودُّ ان نجعلهـــا جنَّهْ
سطا عليها صبيةٌ بدَّلوا آمالنا فانقلبتْ جُنَّهْ (١)
فهل يمنُّ اللهُ يوماً بمَن يجعلُهُ العلمُ لهُ جُنَّهْ (٢)
فيكشفَ الخَطبَ ويغدو لنا من كلِّ عادٍ جاهلٍ جُنَّهْ (٣)

فحوّل مكتب الاولاد الى مكانٍ آخر لا زال عماداً لاهل الفضل جمّاعاً شمل المكارم ورئيسها الاجل وهو حرس الله نفسه الشريفة اول من اسّسَ المجمع العلمي في الشام . الشام في ١٨ اب سنة ١٩١٩

وقال

(٤)

البدوية

بالله يا نسماتِ الرندِ والبانِ من نجدٍ جئتنَّ ام من روضِ غسّانِ
وهل لمستنَّ من ذاتِ الدلالِ رداً ام حدثّكنَّ من اقصى تلمسّانِ
فانَّ فيكنَّ ريحاً من ملابسها فطيبُ ليلى بانفاسٍ واردانِ
وهل لثمتُنَّ من ليلى مباسمها اني عليها غيورٌ ايُّ غيرانِ
اني اغارُ عليها من صواحبها والحاسداتِ ومن انسٍ ومن جانِ

---

(١) جنون (٢) سلاح (٣) درع

(٤) في صيف سنة ١٩٢٠ قام نفرٌ من الشعوبيين في بيروت ولبنان يدعون الناس الى الطلب من حكومتهم ان تجعل اللغة الفرنسوية رسمية في سائر محاكمها ودوائرها ولكن أبى كرام القوم وجميع من تبعهم من ذوي الاصل العربي ان يتزلوا عند رأي هولاء الخوارج ، فهذا الحدث المنكر الهمي موضوع هذه القصيدة التي تغنى بها كثير من طلاب المدارس في حلب .

فانَّ ليلى فتاةٌ لا مثيلَ لها ... صيغتْ من الحسنِ شكلاً ما له ثانِ
الى البداوةِ منسوبٌ منابتُها ... وان نميتَ فهل فخرٌ كعدنانِ
هيفآءُ لا قصرٌ فيها ولا طولٌ ... تجرُّ اذيالَ إدلالٍ وإتقانِ
غزالةٌ تسحرُ الالبابَ نظرتُها ... والمسكُ نكهتُها لا ريحَ ريحانِ
تدنو لعاشقها تجفو لناكرِها ... تُثيبُ عدلاً بتنويلٍ وحرمانِ
تشبَّهُ الحضريات الحسانُ بها ... وهل كذابلِ جفنٍ جفنُ سكرانِ
وكلُّ ثوبٍ عليها ثوبُ فاتنةٍ ... ولم يشنْ حسنَها تبديلُ الوانِ
وثوبها يقبلُ الازياء ما اختلفت ... وليس يُخلقهُ تكرارُ ازمانِ
حروفُها لِمَانٍ لا تُطاولُها ... في حسنها بنتُ يونانٍ ورومانِ
الفاظُها دُرَرٌ تركيبها سُورٌ ... اياتُها غُررٌ في كلِّ قرآنِ
غزيرةُ الفضل لم يجحد محاسنَها ... الاَّ جهولٌ بايجازٍ وتبيانِ
لها الفصاحةُ تُعزى اينما وجدتْ ... شهودُها مثلُ قسٍّ او كسحبانِ
وفي البلاغةِ هل خودٌ تضارعُها ... واصلُها صاعدٌ يسمو لقحطانِ
وبعضُ خُدَّامها عبد الحميد ومَن ... تلاهُ من اصفهانٍ وجرجانِ
وغيرهمْ من ملوكِ الفضلِ آخرهم ... ربُّ النُهى اليازجيُّ الكوكبُ الثاني
وكم لجنَّاتها في ارضِ لبنانِ ... من هائمٍ في معانيها وبستانِ
والشعرُ محتدُها من ذا يُنازعها ... فيهِ وكم تيمتْ من نِدٍّ حسَّانِ
بلابلُ الشعر غنَّتها بدائعهُ ... على عجائبِ اوزانٍ والحانِ
وربَّةُ الشعر ناجتها مواهبها ... فانحطَّ عن عرشها عرشٌ لكيوانِ

وقلّدتْ جيدها عقداً ترفّع عن عقودِ درٍّ وياقوتٍ ومرجانِ
فكلُّ شعرٍ الى ادنى منازلها اعلى مراتبهِ مُستشفعٌ دانِ
وهل أُميَّةُ صالت واستقام لها ملكٌ وطرفٌ لليلى غيرُ يقظانِ
هل استعانَ على تشتيت ما جمعت الا بالفاظها ذاك الخُراساني
وهل سما عرشُ هارون الرشيد على ملكٍ بناهُ على عدلٍ وعمرانِ
والارضُ في ظلمةٍ للجهل حالكةٍ وملكُهُ مشرقٌ من نورِ عرفانِ
الاّ واعلامُ ليلى غير خافيةٍ في كلّ مأثرةٍ تعلو ببرهانِ
وهل خليفتهُ المأمونُ ردَّ لنا علمَ الاوائلِ من اقوامِ يونانِ
الا بالفاظ ليلى غير مُلتمسٍ في حسن تعريبها الفاظَ اعوانِ
ودولةُ الناصرِ المُظمى بأندلسٍ قامت بمدهشِ عمرانٍ وبنيانِ
في كلِّ فنٍّ بسهمٍ وافرٍ ضربتْ ولفظُ ليلى باذانٍ واذهانِ
لم تتخذْ بدلاً منها ولا سنداً لها سوى بعض تبّاعٍ وغلمانِ
وكم وكم دولٍ من بعدها درجتَ هامت بليلاىَ في سرٍّ واعلانِ
للشعرِ للعلمِ ليلى للنصاحةِ قد جآت بابدع مرويٍّ لانسانِ
وفي السياسةِ والتدبير كم خفقت لحسنها رايةٌ من فوقِ تيجانِ
وفي الصناعاتِ لم تعثر لها قدمٌ وفي الحروب تخطّت كلَّ ميدانِ
مجازُها واشتقاقٌ لا مثيل لهُ ونحتُها مُعجزاتٌ كلَّ بهتانِ
ما ضرَّها انها والحسنُ عابدُها لها حواسدُ من اهلٍ وجيرانِ
يا أهل لبنانَ ما ذا العهدُ كان بكم يا اهل لبنانَ قد اصممتُ آذاني

انكرتمُ اليوم ناصيفاً واسرتهُ (١) نبشتمُ قبر شدياقٍ (٢) وبستاني (٣)
أما سمعتم أبا اسحاق (٤) ينشدكمُ يا بعض لبنان قد مزقتَ اكفاني

* * *

نمْ يا اخا الودِّ لا تغضبْ لما أتموا فليسَ لبنانُ ذا بل بعضُ لبنانِ
وذلك البعضُ جزء البعض من نفرٍ فما لحزنكَ فينا غيرُ غضبانِ
ليلاكَ آمنةٌ ما دامَ من رهنوا عهودهم عندنا من خير اعوانِ
يرونَ في جحد اصل المرء منقصةً عليه والعارَ في انكارِ اخوانِ
وهم بنو الفضلِ فيهم خير من عشقوا ليلى كساسي (٥) وميناري (٦) وريناني (٧)

١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

وقال عندما عالنت حكومة حلب باغراء الجنرال ده لاموت الحكومة في الشام بانفصالها عنها وسماها

الحلبية
او
[الى مَن اعنيه]

اما لقربكَ بعد الهجرِ ميعادُ فالدارُ في وحشةٍ والصحب ارصادُ
كم في الحمى من فؤادٍ فيك مشتغلٍ وكم تحنُّ الى مرآكَ اكبادُ
إن يحسب الجاهلون اليومَ يومهمُ فالعقل فينا لهُ رهطٌ واجنادُ

---

(١) الشيخ ناصيف اليازجي (٢) احمد فارس الشدياق اللبناني (٣) المعلم بطرس البستاني (٤) الشيخ ابرهيم اليازجي (٥) المستشرق الكبير البارون سلوستري ده ساسي (٦) بربياي دهمينار (٧) ارنيست رينان.

أدولةٌ دولةُ الاغرارِ قد نهضوا ... الى المناصب والاكفاءُ اشهادُ
ترشحوا للمعالي وهيَ راغبةٌ ... عن مثلهم ولها في الحيّ آسادُ
تزببوا قبلَ تعنيبٍ ومثلُهمُ ... الى الفضيحةِ بين الناس ينقادُ
بأيّ فضلٍ وعلمٍ بارزٍ نجبت ... لديكَ شرذمةٌ للجهلِ ترتادُ
أذاكَ ما نرتجيهِ اليوم من سَبَقٍ ... وهل بامثالها للسبقِ أمدادُ
ان كانَ قدغرَّها منا السكوتُ فما ... في الصمتِ جبنٌ ولا عجزٌ وإخلادُ
او كنتَ تبغي لنا بين الورى سبباً ... للعارِ فالقومُ احرارٌ وأمجادُ
لهم لسانٌ جهيرٌ بالحقيقةِ لا ... يُخيفهُ في مقالِ الصدقِ حسّادُ
نرومُ للحكم قوماً لا تغرُّهمُ ... الى المناصبِ اطماعٌ وارفادُ
نرومُ للحكم قوماً ليس يرهبهمْ ... في جانبِ الحقِ ابراقٌ وارعادُ
نرومُ قوماً لهم علمٌ ومنزلةٌ ... فينا وركنٌ لاوطانٍ وانجادُ
أنعمةٌ ان يكونَ الحكمُ في يدنا ... والجهلُ قاضٍ وربُّ المكرِ جلاّدُ
ما ضرَّنا ان يكون الجارُ حاكمَنا ... والعلمُ والعدلُ انصارٌ واعضادُ
انّا بنوا أئلةٍ في شتّنا ضعةٌ ... وفي تجمّعنا نجحٌ واسعادُ
أبعدَ غربةِ دهرٍ لا يُقال لمن ... قد غابَ اهلاً بمن غابوا ومن عادوا
عاودتنا بلوآءِ الافكِ تنشرهُ ... وكلُّ سعيكَ تفريقٌ وافسادُ
ما فرَّق الترْكُ فيما بيننا وهمُ ... لم يدّعوا نسباً للعربِ ينقادُ
حاشا لقومي أنْ يرضوا بتفرقةٍ ... وبينهمْ ربُّ تمييزٍ ونقّادُ
إنَّ الألى فرَّق الحدثانُ شملَهمُ ... من بعدِ دهرٍ الى اقوامهم عادوا

هذي البلَندُ وذي بعض الصقالب قد ... عادت لشملٍ لهُ في الارض اعيادُ
انظرْ الى القوم اهلِ الحزم من بذلوا ... نفوسَهم كيف بالاجماعِ قد سادوا
من بعد خمسينَ عاماً منهمُ اغتُصبتْ ... ارضٌ الى ردّها بالنفس قد جادوا
وهم لقد عرفونا امّةً نشطتْ ... الى الفلاحِ وقوماً للعُلى شادوا
فهل ونحن ضعافٌ ريشُنا خضلٌ ... يجوزُ عندكَ تفريقٌ وابعادُ
والارضُ خاويةٌ والدارُ قاصيةٌ ... وليس في رحلنا مالٌ ولا زادُ
أنبلغُ النجحَ والاقوامُ يجمعُها ... شملٌ وصحبُكَ بالتفكيكِ قد نادوا
إنّا نحثُّ الى شملٍ يكونُ بهِ ... الى المعالي بنا نهجٌ وإصعادُ
وكلُّ ارضٍ لها مالٌ تعيشُ بهِ ... وكلُّنا بسوى العرفانِ زهّادُ
إني احثُّ بقومي كيفما فعلوا ... من أنْ يُفرّقهمْ غلٌّ واحقادُ

الشام في ١ ت٢ (نوفمبر) سنة ١٩٢٠

وقال لحادثةٍ معلومةٍ

قد احتكروا الحكومةَ واستبدّوا ... بتوزيعِ الوظائفِ والمراتبْ
فسرنا في الرُقيِّ الى ورآءٍ ... وقد باتت مناصبُنا مواهبْ
فيُقصى عارفٌ وينوبُ جهلٌ ... ويُعزلُ كاتبٌ ويعزُّ كاذبْ
وتشفعُ لحيةٌ في ذا وهذا ... فتُحلقُ ارؤسٌ ويقصُّ شاربْ

حلب في ١ نيسان سنة ١٩٢١

قال وزرتُ احد الاصدقاء يوم عيدٍ فعرضت عليَّ قرينتهُ كُناشةً

استكتبت فيها بعض الزائرين ملحةً او جملةً لبقاء ذلك تذكاراً لزيارتهم او خطوطهم فكتبتُ

شاءت الحسناء أنّ اكـ ـتبَ تذكار زيارهْ
فرأيت الامرَ ديناً لا افيه بعبارهْ

حلب ١٥ حزيران سنة ١٩٢١

وقال وفيها لزوم ما لا يلزم

اما في الحمى ضوءٌ لمن جنّهُ الليلُ أما هضبةٌ تُرقى لمن دهمَ السيلُ
الى كم يظلُّ الظلمُ للعدل ماحياً وكم يستمرُّ الجورُ في الناسِ والويلُ
اذا قالَ ربُّ الفضل أُنكرَ قولهُ وان نطقَ المهذارُ قيلَ هو القيلُ
أُقلّبُ طرفي في الديارِ فلا ارى سوى مدعٍ فضلاً وليس لهُ ذيلُ
اذا قلتُ قمْ للامرِ قامَ معدداً معاذيرهُ لاحولَ فيهِ ولا حيلُ
تحكّمتِ الاذنابُ فالامرُ اعوجٌ متى كان للاذناب عن عوجِ ميلُ
أجهلاً وبغياً واستطالةَ فاجرٍ وعصرَ جيوبِ القوم قدطفح الكيلُ
أما فيكمُ للبثّ صيحةُ مشتكٍ اذا لم يكن مالٌ لديكمْ ولا خيلُ
كفى القومَ عاراً أن يُقال غبيُّهمْ اخو سؤددٍ فيهمْ له المنعُ والنيلُ

حلب في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٢

وقال في نواب مدينة حلب وانتخابهم بارادة مندوب دولة فرنسا ونشرت يومئذٍ في جريدة سوريا الشمالية التي كانت تصدر في حلب

نوّابُنا نوائبٌ كُلُّهمْ على لحى مُنتخبيهمْ قضوا

ان يجعلوا الطاعةَ فرضاً لهمْ في كلِّ مشروعٍ كما يُعرضُ
فوطنوا النفسَ ايا جيرةَ الـ شهبا على مكسٍ غداً يُفرضُ
وجزيةٍ يدفعُها عن يدٍ كُلُكمُ المؤمنُ والمعرضُ
وسوفَ يمضون عهوداً بها رُكنُ بنا استقلالِكم يُنقضُ
وسوف للتجنيدِ تُدعونَ كالسـ ـسودانِ والبربرِ لمّا مضوا
لا فلتةٌ ترجى ولا فكّةٌ من بعد ما يستحكم المقبضُ
يَنهرُكمْ من خلفكمْ اسودٌ والبربريُّ الجلفُ يستنهضُ
ثم تسافونَ الى حيث لا قت رحلها لا يُرحمُ المُجهضُ
ثُمتَ ميزانيةٌ ليس من تصديقها بدٌّ ابوا او رضوا
قد خفتتْ اصواتُ نوّابكمْ وهمْ على مبيوعِهم قد مضوا
اذ انّهم في صممٍ عنكمُ وإنْ سألتم نظرةً اعرضوا
وان شكوتم ضرَّكمْ قيل ما لمن بنَوا صبحاً مساً قوّضوا
ما بالُهمْ من بعد ما سوّدوا ابيضَهم اسودَهم بيّضوا
جُهّالهمْ عذرٌ لهم جهلُهمْ فايُّ عذرٍ للألى حرّضوا
لا يُعذرُ العاقل في صمته عما يشينُ القومَ او يخفضُ
بل ما لهُ عذرٌ اذا لم يقُمْ فيهم خطيباً نصحهُ يمحضُ
من ادّعى فيهم حجىً فليَلُمْ نفساً لهُ من جبنها مُنغصُ
اذ كلُّ دعوىً غيرها حجّةٌ لا تدفعُ الذنبَ ولا تُرحضُ
نرومُ اصلاحاً لهم انّهمْ على فسادِ عرقُهمْ ينبضُ

قد ألفوا الرقَّ طويلاً ومَن يألفْ شيئاً عكسَهُ يُبغضْ
ما يرتجي الجاهلُ من مطلبٍ سامٍ بغيرِ العلمِ لا يُقبضْ
بالعلمِ طرنا فوقَ طيرِ السما ومن حضيضِ الذُّلِّ لم ينهضوا
هذا قضاءٌ مُبرَمٌ عادلٌ بهِ عليهم نابُوهمْ قضوا

حلب سنة ١٩٢٤

وكتب الى صديق لهُ من سوق الغرب بلبنان وهي من لزوم ما لا يلزم

نعمْ ذاكَ وجدُ الصبِّ لا وجدَ دونهُ وذيَّاكَ الوادي كما تعهدونهُ
فانْ جدتمُ بالقربِ غنَّت طيورهُ ولا ارزَ الاَّ ارزهُ تشهدونهُ
ويخضَرُّ اعلاهُ ويُزهرُ سفحهُ ولله ذاكَ الماءُ اذ تردونهُ
ويا حبذا ابكارهُ وغبوقهُ ويا حبذا اذ انتمُ مسعدونهُ
فحُبَّ بسوقِ الغربِ مغنىً لشملنا وكلَّ الذي يرضيكمُ تجدونهُ
فبحرٌ مديدٌ يحسرُ الطرفُ دونهُ وبحرٌ طويلٌ رحتمُ تنشدونهُ
وما صيفُ لبنانٍ خفيٌّ عليكمُ ولا بعد سوقِ الغربِ ما تقصدونهُ
هو الوقتُ فانهبْ من زمانك خيرهُ فقد يكُ آتٍ رحتَ ترجوهُ دونهُ

ايلول سنة ١٩٢٥

وقال

تهتزُّ الارضُ ولا تقعُ فعلى مَ قنوطكَ والفزعُ
احسنْ بالرَّبانِ ظُنو نكَ فهوَ السالبُ والمصطنعُ

كم عاصفةٍ هبتْ ومضتْ والصحوُ لها خلفٌ تتبعُ
ويظنُّ الجائعُ لا شبعٌ ولقد يتخمُهُ الشبعُ
والناسُ عبيدُ مطامعهمْ ما اسعدَ اقواماً قنعوا

سنة ١٩٢٥

وقال

في نحو سنة ١٩٢٢ رأى بعض الفضلاء اللبنانيين في اميريكا ان يؤدوا فريضة العلم الى حجة اللغة الشيخ ابرهيم اليازجي بصنع تمثال لهُ من الصفر (البرونز) لينصب في احدى ساحات بيروت وكاتبوا بذلك عشرة رجالٍ عدوهم من مريديه في سوريا وكنت في عدادهم فجمعوا هم ايضاً حصةً من المال لصنع القاعدة التي ينصب عليها التمثال وعينوا يوماً للاحتفال بنصبهِ وتسابق الشعرآء والخطباآء للكلام في ذلك المقام وحال دون سفري الى بيروت حائل قاسر فبعثت القصيدة الآتية الى احد الاصدقآء لينشدها وذلك قبل ايام فوردني جواب بارد بعذر ابرد وهو ان القصيدة وصلت في ساعة متأخرة ثم نشرت في احدى الجرائد الوطنية.

اهلاً بطلعةِ وجهكَ المحبوبِ وبيومِ مبعثِ شخصكَ المحجوبِ
وبجمعنا هذا وما ترضاهُ من نثرٍ ونظمٍ فائق التهذيبِ
وبعصبةِ الودِّ الصحيحِ وعترةِ الـ فضلِ الرجيحِ وشاعرٍ ولبيبِ
من كلِّ معترفٍ بفضلكَ قاصرالـ شكرانِ بالانشادِ والتطريبِ
هذا الشآمُ وهذهِ ابناآوهُ هرعوا اليكَ بافصحِ الترحيبِ

وتسابقوا لخلودِ شخصكَ مثلما ... خلّدتَ ذكركَ مثل عرف الطيبِ

للهِ أنتم يا بني لبنانَ يا ... مثلَ الوفاءِ بمشهدٍ ومغيبِ

للهِ دَرُّ السابقين الى الندى ... في ابعدِ الامصارِ سبقَ قريبِ

يا حبذا مسعاتُكم زادت لكم ... في المجدِ سطراً ليسَ بالمكذوبِ

هذا ابو إسحاق يشكرُ صنعَكم ... هل فوق هذا الفخرِ من مطلوبِ

انَّ الامامَ قد استوى ما بيننا ... من بعد طولِ مسافةِ التغريبِ

وكأنَّهُ وكأنَّنا لم نفترقْ ... من قبل هذا الموعدِ المضروبِ

هذا اميرُ الفضلِ افصحُ معربٍ ... انْ قالَ قولاً بزَّ كلَّ خطيبِ

هذا امامُ الناظمينَ وسيدُ الـ ... مترسلينَ وقُطبُ كلِّ اديبِ

هذا الذي انقادت اليه رئاسةُ الـ ... علماءِ فانقادت لخيرِ نقيبِ

هذا الامام ابن الامامِ المفتني ... عن نعتِ ناعتهِ وعن تلقيبِ

طلّاعُ انجدة البيان (١) وسحرهِ ... نظّامُ سرِّ ضيائه (٢) الموهوبِ

طبٌّ بادواءِ الكلام مبرِّزٌ ... ابقى لاهل الفضلِ ايَّ طبيبِ (٣)

صوّاغُ آياتِ البلاغةِ والنُهى ... بفرائدٍ (٤) حسّانةِ الترتيبِ

للهِ نجعتُهُ وشرعتُهُ (٥) وما ... في عَرفهِ من طيبٍ (٦) منخوبِ

هذي رسائلُهُ (٧) وطبعُ صفاتهِ ... قد نُزهت عن شبهةٍ وضريبِ

كم ميّتٍ احيا بتأبينٍ وكم ... لُمداتهِ من مدمعٍ مسكوبِ

---

(١) مجلة البيان (٢) مجلة الضياء (٣) مجلة الطبيب (٤) الفرائد الحسان معجم لم يطبع (٥) نجعة الرائد (٦) العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب [المتنبي] (٧) رسائل اليازجي .

ومُقدّماتٍ مُنزلاتٍ عندها قسٌّ يعودُ بصفقةِ المغلوبِ
وابنُ المفففِ لو رأى انشآءهُ باهى وقال قد انتقى أُسلوبي
هذا الذي باهت به اوطانُهُ وله استهلَّ الفضلُ بعد قُطوبِ
هذا الذي احيا لنا اللُغة التي لاقت من الايام شرَّ خطوبِ
حمل اللوآء لها ونادى عزمةً دانت لهُ في الموقفِ المرهوبِ
فاطاعهُ اللفظُ العصيُّ وجآءَهُ ال معنى القصيُّ بغير ما تجليبِ
واتى باوضاعٍ تضوَّعَ نشرها وعنا لهُ الاعجامُ بالتعريبِ
فخلا لنا من كل فنٍّ سورةً حازت من الابداع كلَّ نصيبِ
في منهجٍ ملكَ البلاغةَ سائغٍ في ذوقِ اهل العصرِ سوغَ شَروبِ
هذا ابو الاحرار اوَّل صارخٍ كم تستنيمُ لذلٍّ حكمِ غريبِ

دع مجلس الغيدِ الاوانس (١) واعتزم عزماً يعودُ عليكَ بالمسلوبِ

اي النعيمِ لمن يبيت على بسا طِ الذلِّ يقنعهُ شقا المحروبِ

ولمن ازمتّهُ بكفِ عداهُ يُظ لمُ آيساً من ناصرٍ ومجيبِ

ولمن تُباعُ حقوقُهُ ودماؤهُ بيعَ الخسائسِ عقبَ عامِ جدوبِ
هل قام فينا قبلهُ داعٍ الى وطنيةٍ عربيةِ التضريبِ
طوراً بتهذيب اللسانِ وتارةً بالنصحِ والانذارِ والترغيبِ
يا قوم انَّ لسانكم حرزٌ لكم فقدُ اللسانِ قضى بهلكِ شعوبِ
هذا تُراثٌ لم تنلهُ امَّةٌ من قبلكم متكاملُ الترتيبِ

---

(١) دع مجلسَ الغيدِ الاوانس وهوى لواحظها النواعس (قصيده مشهورة له)

يا قوم صونوهُ صيانَ جواهرٍ هذا القديمُ يفوقُ كلَّ قشيبِ
طرفٌ عتيقٌ لا يخون مصاحباً بحرٌ وان نعتوهُ باليعبوبِ
في الوعرِ سهلٌ لا يُعاصي عالماً بفنونهِ سبَّاقُ كلِّ ركوبِ
وافٍ بحاجاتِ الزمانِ وقانعٌ منكمْ برعيِ صحابةِ المصحوبِ
يا قوم لا دُوَلٌ ولا وطنٌ بلا لغةٍ وهل بيتٌ بلا تطنيبِ
ذي البعضُ من آياته فتذكروا فبذكرِها شرفٌ لكلِ اريبِ

* * *

يا خادمَ الوطنِ العزيز ومطلعاً عزّاً لامتّه بغير غروبِ
لا يُنكرنَّ عظيمَ فضلكَ منصفٌ في العُرْبِ او يُلفى اذلَّ كذوبِ
اليومَ ادَّتْ امةٌ لكَ فرضها في عرفِ عصرٍ بالفنونِ عجيبِ
قالت لمن مَعنا وآتِ بعدنا هذا مثالُ الفضلِ والتهذيبِ
هذا مثالُ فتىً تضنُّ بمثلهِ غُرَرُ العصورِ كذا بكلِّ نجيبِ
لو كان كلُّ عظيمِ قومٍ يُقتدى لفداكَ اقوامٌ كرامُ قلوبِ
او كان يُعطى المرءُ عدلاً حقَّهُ لبلغتَ اقصى مطلب لاديبِ

حلب ٣ تموز سنة ١٩٢٤

وكتب الى صديقه الكاتب الالمعي والشاعر العبقري جبران افندي النحاس في الاسكندرية

شغلتني حوادثُ الدهرِ عنكم بعضَ حينٍ وكلُّ ذاكَ فضولُ
فاليكم شوقي وفكريَ فيكم فاعلموا واعذروا وقولوا وطولوا

تمهيد

اسعدني الحظ في بعض سعوده ، بزيارة احد الخلان الافاضل ، و كانت لم تزل في يدي مجلة [المصورات المشهورة] الفرنسوية ، بعد ان انتهيت من مطالعة المقالة المنشورة اثر هذا الكلام ، و كنت مخموراً بما تلوته او شربته مما فيها من براعة الوصف في بلاغة التعبير ، وملاحة السبك في فصاحة التصوير ، فما كاد الصديق يستقر بمجلسه ، حتى رويت له ما شملني من السرور ، وما تولاني من اللذة بقرآءتها ، ووصفت له بعض ما البسها منشئها البارع من الرونق الرشيق ، واللفظ الرخيم الرقيق ، حتى بدت كأنها روضة زمردية رُصّعت بالدر والياقوت لا بالجزع والعقيق ، وجرت في سواقي سطورها مياه اللفظ سلسالاً سائغاً كأنه مختوم الرحيق ، فما تمالك ان تناول المجلة من يدي ، وانشأ يقرأها سمع اذني ، و كنت بين حين وحين استوقفه ليكرر جملة استدعي انتباهه الى لطف معناها ، و كان يفعل مثل ذلك ليسترعي سمعي الى وصف او تركيب استحسنه حتى اتى على آخر المقالة ، فوافقني على الاعجاب بها غاية الموافقة ، ثم طفق يعدد رشاقة اللغة الفرنسوية وفصاحتها ، وسهولة الوصف والتركيب بها ، ولا سيما التعبير عن العواطف وسائر اسرار النفس ، وانها مما لا تضارعها بذلك جميع لغة من اللغات الافرنجية ، اما لغتنا العربية فهي ابعد من سواها عن ذلك ،

قال هذا والألم يكاد يُغصُّهُ بريقه ، لانهُ من محبي اللغة بل عشاقها ، فقلت لهُ هل قرأتَ كثيراً في الفرنسية مثل هذه المقالة في هذا الموضوع المرقص او سواه ؟ فنظر اليَّ نظرة متعجب او متحير ثمَّ اطرق متفكراً ، ثم قال الحقيقة اقول لا اتذكر انني طالعت شيئاً يضارعها ، قلت وانت وانا قد قرأنا لأكتب فصحاء الفرنسيس ، كفولتير وشاتوبريان ودوسو وتاين ورينان وبرونتيار واناتول فرانس ومن في طبقتهم ، ولا اتذكر انه قد مرَّ بي نظير هذه المقالة . والذي اراه ان استحسان الكاتب ما عاين وما اكتنف ذلك من الانغام الموسيقية ثم الموضوع بعينه ، وقد ألَّف مَجمعةَ كان اشد تأثير ، واروع صورة من زخرف البلاغة في قلم الكاتب العبقري ، وقد عنَّ لي الان خاطر وهو ان اجهدَ القريحة في تعريبها ، فان اعجبني كما اعجبني الاصل ، سنخوض فيهِ لدى زورتك الآتية ، والاَّ فسأطويه على غرَّه ، قال ذلك اليك ، وارجو ان تبلغ منه ما تريد واتمناه . ومضت بضعة ايام على هذا الحديث ، واذا بالصديق اماي يقول ، انجز حرَّ ما وعد ، فترحبت بهِ وقلت لهُ تأخرت عني ، وانا في حاجة الى رأيك ، اذ كل بنتٍ بابيها معجَبة ، واخشى ان اكون مخطئاً فيما احسنت بهِ الظن من ثمرة قلمي فقال هات لنرى ، وما انت ممن تغالبه الانانية فينزّه نفسهُ عن الغلط ، فناولته التعريب وراح يقرأهُ سمعَ اذنٍ كما فعل في الاصل ، وكان يتوقف عند قراءة بعض الجمل ، وارى على وجههِ علامات الاستحسان ، ويكرر بعضها مرتين

ويشفع ذلك بصريح الثناء والاعجاب ، حتى اتى على آخره فقال انت تعلم شدة نفوري من المداجاة ، فلا حاجة بي الى تبرئة نفسي امامك ، معما تعلم من اخلاصي وو .. فاني اقول اصرحَ قولٍ ، ان التعريب فاق الاصل حسناً وبلاغةً ، واخذ يفصّل لي ما رآه .. — ولم اذكر هنا بعض كلامه ، الاّ لانّهُ ابصرَ من عرفتهُ بمنزلة الفصاحة في اللغتين ، وليتبصر الشبان المتأدبون المعجَبون بآداب اللغة الفرنسوية بما ذكرته وسأذكره في هـذا التمهيد ليحتذوا في التعريب مثال ما فعلت ولينسجوا على منواله — .

عود على ما تقدم ، فقلت يا عزيزي ان لغتنا اذا رُزقت قريحةً مواتية ، وهمةً غير وانية ، ونظراً بصيراً بمواقع اللفظ ، وبتفهّم كلام الفصحاء مع حظ الحفظ ، وتذوّق آداب اللغة العربية ، ووقوفاً كافياً على روح اللغة الاعجمية التي يُراد تعريب كلامها ، فان لغتنا هذه لا تقصّر عن الجري مع احدث اللغات العصرية في كل ميدان ، ولا تشكو في الحقيقة الا فقرها الى اسماء بعض الرياش المفروش من متاع البيت او مثله من الملبوس والماعون وغيره من الآلات والادوات المستحدثة ، مع سواها من الاستنباطات ولا سيما الاجزاء من تلك الآلات المستحدثات ، مما لا يحتاج اليه الا ارباب تلك الصناعات ، واكثرهُ بل كله عصريّ لم يعرف على وجه الارض قبل مئة وخمسين سنة ، وتكاد تكون اسماؤها في اللغات الاعجمية مركّبة ، من نعت او اسم يوناني او لاتيني يُضاف اليه احرف من لغة المخترع ، وكثير من تلك الاسماء موضوع مجازفة من لغة المخترع

او العامل وقد يكون اختزلهُ من لفظ عاميّ ، ولا يوجد لها ذكر في معاجم اوربا نفسها ، وهذا لو عُدَّ نقصاً في اللغة او قصوراً فهو اجدر بان يُلصق بلغات المخترعين ، من ان يمسَّ العربية التي مع تقصير اصحابها عن الاختراعات ، فانهم عرّبوا ووضعوا قديماً وحديثاً كثيراً مما استعملوه من تلك المستحدثات احسن تعريب ووضع .

ولعلي كنت في غنىً عن هذا التمهيد ، لو لم يدفعني اليه تعلّقي وغرامي بهذه اللغة ، لأتحدّى كلّ من يزعم قصورها عن اللغات الافرنجية حسبما اوضحت ، وقد عرّبت كثيراً من الشعر الفرنسوي وغيره من اللغات الافرنجية ، وادرجتُ منه في هذه المختارات لأبرهن للمخالف صواب ما ادّعي والله درّ ابي الطيب

وما شئتُ الاّ ان ادُلَّ عواذلي على ان رأيي في هواكَ صوابُ

SORTILEGE MUSICAL

●

Il y a quelques jours, Paris applaudissait l'admirable spectacle de danse de Uday Shaukar. On avait remarqué tout particulièrement, la valeur orchestrale exceptionnelle, de ces musiciens hindous qui ont tiré du bois de l'ivoire du brange de l'airaine de la porcelaine et du cristal des sonorités d'une nouveauté et d'une délicatesse incroyable, on avait noté également la beauté saisissante du matériel sonore employé par ces virtuoses.

Il y avait là de gigantesques instruments à cordes en bois précieux tout incrustés de marqueteries finement ouvragées,

Toutes les variétés de cordes d'acier étaient tendue sur des chevalets aux formes harmonieuses et les caisses de résonance des instruments étaient elles-mêmes des objets d'art. Ces objets qui sont traditionnels et que l'on retrouve dans tous les documents anciens de la civilisation hindoue, nous ont émerveillés par leur splendeur décorative, Non seulement ils sont constitués de matières rares, mais leurs proportions et leurs courbes sont exquises et créent à elles seules une impresion de beauté. De plus leurs formes est telle que les gestes professionels des musiciens y prenent eux aussi un caractére de grâce et de noblesse indicible. La tête, les bras et les mains inscrivent dans les airs des figures magnifiques qui sont un ravissement pour les yeux pendant que les sons féeriques de cette musique de rève enchantent les oreilles.

La photographie que nous publions ci dessus nous pronne qu'il ne faut pas être ingrat pour notre civilisation moderne. Cette image à été prise à Amesterdam, dans une classe de harpe. Elle aurait pu l'être dans n'importe quel conservatoire, quisqu'elle n'utilise que des ressources absolument normales de notre orchestre, nous voyons ici 4 harpistes en train de travailler, je ne sais quel concerto. Un photographe adroit sensible à la beauté des choses a fixé sur sa plaque la poésie cachée dans cet exercice professionel.

Voilà une des victoires de l'œil mécanique sur l'œil humain. L'objectif saisit dans le décore de notre existence des aspects que notre rétine ne songeait pas à isoler et à enregistrer. Beaucoup d'honnêtes gens ont remarqué qu'une harpe est un instrument élégant et esthetique que complète admirablement la silhouette d'une jeune femme qui en caresse les cordes. Mais ici un adroit effet de perspective nous fait sentire toute l'élégance de la construction de cet instrument sacré qui a de si hautes lettres de noblesse.

Lui aussi est composé de bois de luxe et de métaux précieux. De belles incrustations d'ivoire ou de nacre des bronzes darés délicatement fouèllés enoblissent sa svelte colonne et sa table d'harmonie dont l'angle est si savament calenté, et rien n'est plus pur et plus souple que la délicieuse arabesque en col de Cygne qui relie en pilier amoragé à la caisse de résonance. Il y à la un ensemble de lignes et de volumes d'une science raffiné et que cette photographie met admirablement en valeur.

Observez également le geste à la fois voluptueux et maternel avec lequel une harpiste penche et accueille sur un épaul le bel instrument frémissant. Voyez ces ouvrièrez attentives

penchées sur leurs mysterieux ouvrage. Leurs visages ont tous la même infléxion. Ces dentelières de la musique effleurent de leurs doits légers les fils tendus du métier sur la trame duquel elles vont broder toute floraison des accords et des arpéges. Ce geste de ces tisseuses de songe a un charme étrange. Il parle dejà aux yeux avant d'émouvoir notre tympan. Un sourd serait sensible à cette musique de la lumière.

Quatre harpes ainsi rapprochées forment un étrange sortilége.

Ces plans de cordes derrière lesqueles polpitent et s'envolent ces doits de femme n'évoquent ils pas la vision d'oiseaux captifs froissant leurs ailes aux barreaux d'une cage d'or ?

Notons au vol ces impressions fugitives et habitons-nous à rechercher dans notre prétendue prosaïsme quotidien ces éléments impalpable de poésie et de beauté qui foisonnent autour de nous et que nous n'avons pas la sagesse de saluer au passage.

7 Juillet 34

سحر موسيقى

دُعيت في عيد من اعياد السرور ، لعرسٍ من اعراس الدهر، وموسم ليلةٍ من مواسم العمر ، الى قصر هو الفردوس او احد قصور الجنان ، فما صعدت اليه ، وبلغتُ مكاني من بهوهِ الفسيح ، وسرّحت رائد الطرف في صدره الرحيب ، وأجلتُ خُطى النواظر في اعمدته واساطينه ، وسقوفه وجدرانه ، وفيما طُليتْ به من الذهب الوهّاج ، والادهان المختلفة الالوان ، البديعة الاتقان ، في التزاويق والنقوش ، ومشاهد الوقائع التأريخية والحفلات الملوكية ، وفيما عُلّق عليها من احاسن التصاوير ،

ونفائس قناديل التنوير ، وما في سقوفها الرفيعة من الثريات المدلات الباهرات ، الى رياش يتبارى في غرائب صنعته ابرع المتفننين في كل امة ، الى نفائس تحف باريزية ، وطرف ثمينة عادية ، من دمى يونانية ، واوان رومانية ، وطنافس فارسية و كؤوس وابارق صينية ، منتقاة مصفوفة ، على رفوف انيقة مبثوثة فعاينت ما لم تقع على مثله عين انسان قبل تلك الليلة ، ولا حلم بشبهه مصور او شاعر .

ثم كانت مني لفتة فرأيت في احدى زاويات ذلك البهو الواسع ، الآت مثلثات الشكل عظيمات الحجم ، قد نزل في خشبها الآبنوسي قطع من العاج والنحاس والصفر والصيني والقيشاني والبلور ، على صور قاري وعصافير ، وبلابل وشحارير ، بلغت من دقة الصناعة ارفع مكان ، ورُكّب على طرف الآلة مسند للاوتار ، وصناديق صغيرة منمنمة لترديد الرنين ، وفيها من لطف الصنع ما يناسب محاسنها ، وشدت على المسند شتى الاوتار الفولاذية ، فاذا نقرتها يد صنع ماهر سمع لرنينها نغمات هي سحر العقول وحيرة الافهام .

هذه الآلة التي ادهشت النواظر ، واستعبدت الخواطر هي القيثارة الهندية تتناقلها تلك الامة خلفاً عن سلف ، ولها ذكر مشهور في اقدم تواريخ حضارتها ، وليست المعجزة في موادها العديدة البديعة فقط ، بل ان في حجمها ومنحنياتها من جمال التناسب ، ما هو آية في المحاسن يستأسر ابصار الناظرين ، وما في قوامها (شكلها) من بالغ الابداع ، ما ملك ابعد

غايات الذوق عند العارفين ، اذ أنّ حركات القيان الموسيقاريات وسكناتهنّ وتمايل اعطافهنّ عند النقر عليها تبدو بشكل من الدلال والجلال يُعجز افصح الواصفين ، فانّ رؤوسهنّ وسواعدهنّ وانامليهنّ اذ ترسم صوراً في الهوآء هي دهشة العقول ، ومهواة النواظر والقلوب ، تنقل الى المسامع نغمات تلك الموسيقى السحرية فتفعل في النفوس ، ما لا تفعله الصهبآء في الرؤوس ، حتى ليُظنّ ان ذلك من تخيلات الشعرآء بكل جمال موهوم في عوالم الشموس .

ومن اعجب ما في هذه القيثارة ان في لطف قوامها وبراعة تكوينها وما في جملتها من الملاحة يزين قامة كل فتاة تجسّ اوتارها ، وتتجسس اسرارها.

وبينما كنا نُنَقّل الطرف في شتى محاسنها ، اذ وقف احد المصورين البارعين فوجّه عين آلة التصوير الشمسي نحو القيان الاربع وهنّ يعزفنَ في ذلك البهو الفخيم فارانا غاية التأنق والبراعة في صناعة هذه الآلات المقدسة مطبوعةً مع ما عليها من آثار جلال القِدَم على ورقة التصوير بغاية الوضوح .

ومما زاد في جمال صناعة التصوير الشمسي ، ظهور لمعان خشبها الفاخر والمعادن الثمينة التي نُزّلتْ فيها من العاج وعرق اللؤلؤ والصفر [البرونز] والنحاس المذهب ، وما في احكام صنع اعمدتها ومائدة ايقاعها ومقاطيعها من اللباقة والرشاقة مجسّمةً للانظار .

ومن اجلى ما ظهر فيها نقياً صقيلاً نقشٌ عربي محفور على عنق البطة

وهو حلقة الاتصال بين العمود ومردّد الرنين ، فانّ هناك طائفة من البراعة ،في دقة الصناعة ، تدل على معرفة بالغةٍ اقصى درجات التفنن في علم المقاييس والنسبة يُقال عندها ليس في الامكان، ابدع مما كان .

ولا ريب في ان صناعة التصوير الشمسي قد بلغت اليوم اسمى مراتب الاتقان والبراعة حتى فاق ما ترسمهُ مرآتها ، على مرسوم مرآة العيون، اذ ان هذه تاهو ببعض المحاسن او الدقائق عن بعض ، وقد تشتغل ببعض المنظورات عن اشياء ، فلا تبدو الصورة امام اعين الذاكرة تامّةً وان لم يبعد عهد العيان، واين منها ما طبعته آلة التصوير وقد ثبت فيها ادقّ الاشياء متمثلاً للناظرين في كل آن ، وهذا فوز جديد للعين الصناعية على قوة العين الطبيعية، وهو مفخرة لاهل العلم وعبرة للعالمين.

ومما يستوقف الانظار ويستلب الالباب ،حركات القيان، واشاراتهنّ بين اهتزازٍ ومَيَلان ، وانحناء وانثناء ، كأنّ كل واحدة منهنّ بانعطافها على عمود قيثارتها تحاكي انعطاف والدةٍ على طفلها حنون ، بل تهيج هيام اهل الغرام حتى ترى بعضهم صرعى فتونٍ وبعضهم صرعى فنون .

واذا نظرت اليهنّ مائلاتٍ بكل سمعهنّ الى اسرار صناعتهنّ وشاهدتهنّ متجهات الوجوه الى وجهةٍ واحدة يُطرّزن النسيج الموسيقي ، ورأيت مسّ بنانهنّ النواعم تلك الخيوط المشدودة على المنسج بسرعةٍ وتناسبٍ يخلبان العقول ، وعاينتَ كيف تُنسج ازهارُ شتيت النَغَمات ، لوجدت ثمت في اشارات مُطرّزات الاحلام هذه وتمايلاتهنّ من سلطان الاجتذاب

ورقة الشمائل ، ولطف الدلال ، ونسيم القبول ، ورائحة الانس والابتسام، ما يستهوي اعصى النفوس واعفّها ، ويستثير كامن الغرام ، بل يستعبد الانظار قبل ان يسترقّ الاسماع ، حتى انّ الاصمّ المُطبَق يترنّح لهذه الموسيقى النورانية اذ تنحلّ عنه اعراض الطباع .

ولا عجب اذا توافرت التخييلات الشعرية ، والمستحيلات الفكرية ، لدى ذهن الفطِن الاديب عند مشاهدته هذه البدائع السحرية، في اجتماع اربع من هذه القيثارات الهندية ، قد نُصبت عليها تلك الشباك الوترية ، تتحرك خلفها انامل هذه القيان وتطير ، فتُخيَّل الى ذهن المتأمل سِرباً من عصافير ، قد حُبست بلا اثمٍ ولا سبب ، تُرفرف باجنحتها ورآء باب قفصٍ من ذهب .

وكم من خاطرٍ بديع تولده هذه المحاسن المجموعة من اللطف والجمال الانساني، والبراعة في الصناعة، والاصوات الموسيقية، السحرية بل الملكية؟

فلنعوّد النفس على التفتيش عن مثل هذه المواد الاولية لتتعود قرائحنا على الفيض بامثال هذا البديع المنثور منسوجاً من عناصر الجمال والشعر وها حولنا منتشران ونحن عنهما لاهون ، والحكمة تدعونا كلّ وقتٍ الى تسبيحهما بمختلف اللغات واللحون ، فانهما حياة النفوس المتفردة بالنجابة والالمعية ، وغذآء العقول الثاقبة السمية .

٧ في تموز سنة ١٩٣٤

وقال في عذرٍ اقبح من ذنب

قالوا فلانٌ راحَ يكذبُ دائماً ... فاجبتُهم عنهُ بعذرٍ ضيّقِ
ما ذاكَ عن قصدٍ ولا بتصنّعٍ ... لكنّهُ خُلُقٌ بغيرِ تخلّقِ

حلب سنة ١٩٢٧

وقال مداعباً بائع ثريّات اسمهُ مرسي مذكور وكان يتردد اليه

أشعّةٌ نُسجتْ من معدنِ النورِ ... أم جوهرٌ قد بدا في ثوبِ بلورِ
أم ذاكَ سحرُكَ يا مرسيُّ تعجزُنا ... أرخصتَ الماسَنا يا خيرَ مذكورِ
للهِ دَرُّكَ كم تُهدي لنا طُرَقاً ... تسومُنا تافهاً من غيرِ تسعيرِ
انَّ القناعةَ كنزٌ لا مثيل لهُ ... يُبدّلُ العيشَ معسوراً بميسورِ
فاشكر لربكَ ما اولاكَ تكرمةً ... وأبشرْ بآتٍ من الخيراتِ موفورِ

مصر سنة ١٩٣١

وقال ايضاً يداعبهُ ويعرّض بطمعه وكان طلب منهُ نسخة الابيات المذكورة فاعطاهُ هذه وعقبها كدر وضحك

أشعّةٌ نُسجتْ من عنصرِ الزورِ ... ام عنكبوتٌ بدت في ثوبِ زنبورِ
ام ذاكَ سحرُكَ يا مرسيُّ تخدعُنا ... لسلبِ اموالنا يا شرَّ مذكورِ
لا درَّ درُّكَ من بيّاعِ شعوذةٍ ... تسومُنا ذهباً صرفاً ببلّورِ

مصر سنة ١٩٣١

وقال يمازحُ احد الظرفآء وكان انقطع عنه لانهُ عنفَّهُ على الكذبْ بوعده .

إنْ كنتَ عزمتَ على الصَرمِ فاجملْ باللهِ اخا العزمِ
ربّاتُ الحسنِ اذا نكثتْ هل يحسنُ نكثُ ذوي العلمِ

وقال في رأس خطاب القاهُ في حفلة تكريم الشاعر الاديب الالمعي الشيخ كامل الغزي رحمه الله وقد دعتهُ لجنة الاحتفال لرئاستها وكان صديق الناظم

انَّ ايامنا الـتي قَـدُمَ العهـ ـدُ بها تلكَ بهجةُ الايامِ
مَن يصفها يصف بدائع حسنِ الـ زهرِ في مجلسٍ فريدِ النظامِ
قد جرينا في اللهوِ جريَ جيادٍ يومَ سبقٍ ورآءَ اسنى مرامِ
وجرونا برودَ عهدِ التصابي حاليات برقَّـةٍ واحتشامِ
كلّ يومٍ لنا حديثٌ جديدٌ باهرُ الفضلِ في حديثِ الكرامِ
لم نَدعْ فرصةَ السرورِ وكنا مثلَ نَوْرِ الربيع في الاكمامِ
من مغنٍّ وشاعرٍ واديبٍ كُلهم في الرهانِ شبْهُ إمامِ
كان ذاكَ الشبابُ جنَّةَ حسنٍ كان ذاكَ الزمانُ عرسَ الغرامِ

حلب سنة ١٩٣٢

وقال يرثي الملك المحبوب فيصلاً الاول ملك سوريا ثم ملك العراق وقد قضى فجأةً في سويسرا

نجمٌ بدا فأضاءَ الشرقَ ثمّ هوى ... في الغرب يا مَن رأى نجمَ الجلال خبا
خطبٌ لهُ ارتجَّ غربَ الارض اجمعهُ ... وزلزل الشرق حتى الصبحُ صار دُجى
نعى لنا اشأمُ الناعينَ خير فتىً ... فهل درى ايَّ امالِ الانامِ نعى
واويلَها كلمةً واويلَ قائلها ... ملكُ العراقِ وملك الشام قبل قضى
يا فيصل الملك بل يا فيصل العربِ الـ ... ـغاني عن النعتِ مهما في النعوتِ سما
ألستَ اشجعَ من اصمى واكرمَ من ... اعطى واشرفَ من قد سادنا ورعى
جدَّدتَ للعرب مجداً قد بناهُ لنا ... اباؤكَ الغرُّ فوق الفرقدينِ علا
من ذا يدانيكَ في اصل سموتَ بهِ ... يا ابن الحسين اذا سوق الفخار غلا
من للقبائل ينهاها ويأمرها ... في الروعِ أو من للمِ الشعث بعد وغى
ومن لحزمٍ وحلمٍ يومَ معضلةٍ ... يُفرّجُ الامرَ حتى لن يكون اذى
ومن لجمع هوى الاحزاب نافرةً ... مُذ أُعلنَ الحكم بالشورى فكان رُقى
ومن لضبطِ امورِ الملكِ في زمنٍ ... للطامعين احتيالاتٌ تعدُّ دُهى

* * *

ذاكَ المليكُ الذي تُرضى حكومتهُ ... ارضى الملوكَ وارضى من دنا ونأى
ما زال يركبُ متنَ الريح مجتهداً ... يسعى لعمرانِ ذاكَ الملك دونَ ونا
يُذيبُ جوهرَ جسمٍ ليس يقعدهُ ... عن رفعة العرب سيرٌ مهلك وسُرى
حتى استقرَّ بارضٍ يستعينُ بها ... على الشفاءِ فكانَ الحتف شرَّ دوا

* * *

في ذمةِ اللهِ يا فردَ الصلاحِ فقد ... تركتَ للشرقِ من ذكراكَ ايَّ شذا

في ذمّةِ اللهِ يا فرعَ النبوةِ أخ ... لاقاً هي الجوهرُ الاسمى صفاً ونقا
ليسَ العراقُ بباكٍ وحدهُ ابداً ... حتى يكونَ اخوهُ الشامُ قبل بكى
يا عنصرَ اللطفِ سوريا بأجمعها ... تبكيكَ معربةً عما تكنُّ ولا
ما أن ملكتهما حتى ملكتَ معاً ... قلوبَ اهليهما عفواً بغير عنا
يا قبرُ يا قبرُ ان ضنَّ السحابُ على ... بغدادَ سقّاكَ دمعٌ هاطلٌ كحيا
يا كعبةَ العربِ أنى كان مذهبُهم ... لديكَ يخشعُ من هاب الندا ودعا
وأنتم قومُ إسماعيلَ لا برحتْ ... مسعاتُكم للعُلا في العالمين أسا
حجوا اليها وطوفوا بالضريح عسى ... ذكراهُ ان تسعدَ الامالَ فينا عسى
وليسلم الملكُ الغازي ودولتُهُ ... لا خابَ للعربِ سعيٌ صالحٌ ودجا

حلب في ١٨ ت ١ سنة ١٩٣٣

جنة الورد وصاحباها

وقلت في حفلة اهلية اهنيء الصهر الفاضل الالمعي المحامي البارع الاستاذ فتح الله الصقال بعقد اكليله على حفيدتي العزيزة كيتا .

سألنا فقالوا هذه جنةُ الوردِ ... فلما دخلناها بدتْ جنةُ الخُلدِ
مشينا بها بين السماطين عسكرا ... فمن زنبقٍ طلقٍ ومن زنبقٍ جعدِ
وطفنا بها والطيبُ رائدُ امرنا ... فمن عنبرٍ ذاكٍ ومسكٍ ومن ندِّ
ولما بلغنا ساحةَ الوردِ نالنا ... من الدهشِ ما يُلهي العطاشَ عن الوردِ
هنالكَ قد حلَّ الجمالُ باسرهِ ... فاظفرنا بالحظِ نقداً بلا وعدِ

فاشكالُ ذاكَ الوردِ معجزةُ النُهى ... والوانُهُ شتّى تعدّتْ عن العدِّ
ففي كلّ شكلٍ بدعةٌ تسلب الحجى ... وفي كل لونٍ آيةٌ لذوي الرشدِ
يبيتُ بها طرفُ الخليِّ متيّماً ... ويغدو بها قلبُ المتيمِ في وقدِ
يديرُ علينا سحرُها طعم قرقفٍ ... ويُملي علينا حسنُها سُوَرَ الحمدِ
ويبعثُ فينا نشوةً بعد نشوةٍ ... وما نحنُ في سكرٍ ولا نحن في وجدِ
ولكنَّ سرَّ الحسن في النفس فعلهُ ... يقصرُ عن تعريفه كلُّ ذي جهدِ
وما ذاقهُ الاّ القليلونَ في الورى ... وقدزهقتْ دعوى كثيرٍ لدى النقدِ

* * *

لقد فُتّحتْ ازرارُ ذا الوردِ فتنةً ... بسرٍّ لفتحِ اللهِ حُوّطَ بالسعدِ
فتى الحزمِ والعرفانِ والعزمِ والذكا ... صديقِ الوفا ربِّ الولا حافظِ العهدِ
تعشّقَ فعلَ الخيرِ والجودُ طبعُهُ ... وهامَ بغاياتِ المروّةِ والمجـدِ
فحاز ثناءَ الناسِ طرّاً لهمّةٍ ... أبتْ راحةً ما لم تنل اشرفَ القصدِ
ابرُّ فتىً بالوالدينِ وخيرُ من ... ترفّع عن حقدٍ واغمض عن ضدِ
ويدفعُ بطلَ المبطلينَ بهمّةٍ ... يصول بها كالسيفِ سلّ من الغمدِ
وقد كنتُ اوليه الوداد على البعدِ ... فكيف واضحى اليوم اقربَ من زندي
بقيتَ لنا خيرَ البنينِ مهنّأً ... بعرسكَ كيتاً فهي واسطةُ العقدِ
وما انا مدّاحٌ ولكن فضائلاً ... أعدّدُها حمداً لمستوجب الحمدِ

حلب ١٦ ايار سنة ١٩٣٥

ذكرى الخليلين

فقيدي الادب والوفاء سعيد شقير باشا والاستاذ اسعد خليل داغر

في مصر طاب ذكرهما

في إثرِ سعيدٍ يا اسعدْ ... أبذاكَ قضى الدهرُ الانكدْ
ما اقربَ بيناً بينكما ... ما ابعدَ قصداً ما ابعَدْ
الصبرُ عصيٌّ بعدَكما ... والدمعُ جريٌّ لا يجمدْ
فاذا فكّرتُ بفقدكما ... الفيتُ حياةً لا تُحمدْ
عَلمَانِ مكانُهما اخلى ... من ذا يملأُ بحراً قد مَدْ
فاذا كتبا واذا خطبَا ... لا تدري ايُّهما الاجودُ
والشعرُ اطاعهما فهما ... بقوافيهِ كلٌّ اوحدْ
واذا ساجلتَ فايُّهما ... عاينتَ تجد ثقةً ارشدْ
وتظنُّهما لحيائهما ... مما رَقَدا كمن استرفَدْ
واذا وازنتَ الناس ورُمْ ... تَ شبيهَهما فلقد تجهدْ
يعترُّ جليسُهما بهما ... ويبيتُ الحاسدُ كالابلدْ
واذا خاضا في فنٍّ ما ... جاآء بالمضعفِ والمسنَدْ
للهِ مجالسُنا اللاآتي ... قد جادَ بها زمنٌ ارغدْ
كانت عقداً في جيدِ الـ ... ـايامِ فباغتها المُرصدْ
يا احسنَ مَن عاشرتُ ومن ... صادقتُ مغيباً او مشهدْ

روحا مَلَكين قد اتخذا ... جسمين فما لهما من نِدّ
فضلٌ وفضائلُ قد بَهرتْ ... وذكا ونهىً قد جازَ الحدّ
اخلاقهما خلُصتْ وصفت ... مما ازرى او ما افسدْ
لم اسمع لفظاً مكروهاً ... لهما يوماً هزلاً او جدّ
فسرورهما ووقارُهما ... لم يفترقا صدّ عن صدْ
جريا في الفضل الى امدٍ ... لا يُدركهُ من لم يسهدْ
جَبلا حلمٍ كم قد هزآ ... بالدهر وكم سهمٍ سدّدْ
عَصفت بهما ريحٌ نكرٌ ... وأغصّتهما يومٍ اسودْ
يومٌ للرحلةِ مُرتهَنٌ ... ذو الروحِ فلاحيٌّ مُخلدْ
والذكرُ لصاحبهِ باقٍ ... ما احسنَ صنعاً او مهّدْ
تذكارَكما يا خيرَ أخلاّ ... ئي الفوّاحُ بعرفِ النَدْ
ابداً باقٍ ما دامتْ في ... ارضِ الاحياذكرى تُحمدْ
واللهُ كفيلٌ في الجَنا ... تِ بعمرٍ ثانٍ لا ينفدْ

سنة ١٩٣٥

وقال في فندق الخوام ببعلبك

في بعلَبكّ جنّةُ الخوّامِ ... عندي لها السَبقُ على الدوامِ
واهاً لها من جنّةٍ نضيره ... عيونُها تجري بلا جريره
مياهُها كالعسَلِ المُصفى ... ووصفُها في الشعر ليس يوفى
نسيمُها العليلُ للعليلِ ... يطبُّ طباً عادمَ المثيلِ

اشجارُها تحجُب دونَ لومِ ... في الصيف وهجَ الشمسِ كلَّ يومِ
طعامُها قد كان يُرضي حقا ... لو انَّ طاهيها أتمَّ الحذقا
فانَّهُ قد يحسنُ التلوينا ... إلاَّ شؤوناً عدَّها فنونا
فانقلبت سُمَّانُهُ غربانا ... وذقتَ من حَجَلهِ سرحانا
اذ يحسبُ السمنَ كطعم الموتِ ... ولا يرى القليَ بغيرِ الزيتِ
وليسَ للطبيخِ مثل السمنِ ... ان جادَ طعماً عند اهلِ الفنِّ
والزيتُ ان كان رخيص السعرِ ... وجدتَ طعمهُ كطعمِ الصبرِ
فان يكن احبَّ الاقتصادا ... لكسبةِ المالكِ حقاً زَادا
فالفندقُ المرغوبُ مهما استعلى ... مزيّتهُ الطبخِ تُعدُّ الاولى

سنة ١٩٣٥

وكتب الى الصديق الابر الفاضل فارس بك الخوري بعد عودته من باريس مع الوفد وابرام عهدة ٩ ايلول سنة ١٩٣٦

دمتَ يا فارس الخطَب ... منهلَ الفضل والادَبْ
بكَ يعتزُّ كلُّ مَن ... قارَضَ الشعرَ او كتبْ
لك في النفسِ رتبةٌ ... عندها تصغر الرتبْ
واذا كنتُ معجَباً ... بمزاياكَ لاعجبْ
ليس من يقرعُ الكوؤ ... سَ كمن قارعَ النُوبْ
لا ولا كلُّ ناظمٍ ... يسلبُ اللُبَّ ان نَسبْ
كم هجومٍ على العُلى ... وهو من عُصعُصِ الذنبْ

ان يثل بغيةً فكم عميَ الدهرُ في الاربْ
انتَ بدرٌ بك اهتدى قومُنا في دُجى الكُرَبْ
بك يا فارسَ العرب تفخرُ الشامُ مع حلبْ
مجلسٌ ضمَّ شملَنا بعدما طال مغترَبْ
ضاقَ عن بثِّ بعضَ ما بي للقياكَ من طربْ
انَّ شوقي اليكَ شو قٌ الى معدنِ الادبْ
واذا لم يكن سبيـ لٌ الى القرب او سببْ
فاجعلوا الكتبَ بيننا خيرَ رسلٍ ومرتقَبْ
فهي للسرِّ ضامنٌ وهي للفضل مُطَّلبْ
وعسى ان يقدّر اللـ ـهُ تحقيق مستَحَبْ

الطُرفَةُ الحلبية او الملحمةُ العصرية

صراعُ السيفِ والقلمِ ودفنُ الحقِّ في رَجَمِ
وغشُ تِلوَ تضليلِ وفوزُ الزورِ والتُهَمِ
وسلطانُ الخداعِ على ضميرِ العدلِ والذمَمِ
وشعوذةٌ وتغريرٌ لسحقِ الصدقِ والكرمِ
ومفسدةٌ لاخلاقٍ وتجرئةٌ على الحُرُمِ
وجعجعةٌ وتهويلٌ لغمِّ النورِ بالقَتَمِ
والفاظٌ مُطنطنَةٌ وتعظيمٌ لمجترمِ

* * *

قد اجتمع القُضاةُ وهم عُصارةُ سُلطةِ الامم
عقيبَ هلاكِ ربواتٍ بربواتٍ منَ النَسَمِ
وبعد مجالسٍ جمعت رجالَ الحلِّ والبرَمِ
وعُقبَ السلبِ والتغري مِ والتقسيمِ والنهمِ
وبعد العصرِ والتفكي رِ والتفصيلِ والنُظُمِ
تمخَّض جَمعُهمْ عَمَّا دعوهُ خيرَ مُختَتَمِ
ونادوا انهم ظَفَروا بسرِّ الرغدِ والسَلَمِ
وقد ضَمنوا لاهلِ الار ضِ عدلاً سابغَ النعَمِ
اذ اختاروا لهم حكماً جماعةَ مجلسٍ عَلَمِ

شكوى الالم الى مثوى السقم

وشبَّ بارض بوليفا وجارَتِها على تَخَمِ
نزاعٌ آثرَ الخصما نِ فيهِ وساطةَ الحكمِ
فقالوا كلما يكفي لفهمِ وجوهِ خُلفهمِ
وظلوا يرقبونَ صدو رَ حكمِ مُذهبِ الغَمَمِ
ومرَّ الشهرُ عقبَ الشه رِ والحُكَّامُ في عَقَمِ
وعُقبى عصرِ ادمغةٍ تسيلُ الفهمَ كالدَسَمِ
قضوا بسفارةٍ منهم تُعاينُ مركزَ الحُرُمِ (١)

---

(١) الحدود

فسارت بعدَ تزويدٍ وتلقينٍ ومُحترَمِ
وعادت بعدَ تغريبٍ يُحاكي دهرَ ذي أَلَمِ
وظلَّت بينَ إمهالٍ وتسويفٍ الى سَأَمِ
الى أنْ سعَّرَ التسويـ ـفُ شرَّ الحربِ والضَرَمِ

* * *

ولما طالتِ البلوى تنادى القومُ للشيَمِ
وقالوا علَّ اهلَ الحكـ ـمِ ينعطفونَ للكَرَمِ
نُعاودُهم لعلَّ إخمـ ـادَ رأيٍ خلفَ صمتهمِ
اذا بالمجلسِ العالي يذيعُ سخيفَ حكمهمِ
ملخَّصُهُ بانَّ سفا رةَ العرفانِ والحكَمِ
اتتْ بفوائدٍ جلَّت لدى العلماءِ كالنِعَمِ
ولكن حلَّ ما لم يَـ ـكُ في حُسبانِ مُحتلِمِ
وذلكَ أنَّ بعضاً من ذويها أنجُمُ الظُلَمِ
طغت انهارُ علمهمِ فقاقات وسعَ فهمهمِ
وبعضهمُ تجاوز فَهْـ ـمُهمْ افلاكَ علمهمِ
فآبوا بالذي لم يحْـ ـفظوا من تلكمِ التُخَمِ
وأنسوا كلَّ ما من أجـ ـلهِ رجَعوا كمنهزَمِ
على أنَّهمُ من غَيْـ ـرِ تحقيقٍ ولا زُعُمِ
يَرونَ الحقَّ للاقوى بلا شكٍ ولا جرَمِ

* * *

فصبَّ عليهم الخصما نِ شيئاً ليسَ كالديمِ
وقالا ليتكمْ خُرسٌ وليتَ القومَ في صممِ
ولا رَحمَ الالهُ فتىً يُعاونُكمْ على الظُلُمِ
فانتم اهلُ تدميرٍ وتشتيتٍ لُلتئمِ

* * *

وشنَّتْ أُمَّةُ الطليا نِ حربَ الثأرِ والنهمِ
على الحبشانِ فالتجأوا الى مخلوعةِ الأممِ
وقالوا إنَّنا منكمْ وانتم قبَّةُ الذممِ
وانتم كعبةُ العرفا نِ والانصافِ والنعمِ
فقولوا قولكم يشفي مسامعَ كلِّ ذي صممِ
ويُنعشُ كلَّ مدحورٍ ويطرُدُ كلَّ مُقتحمِ
وقد عاينتمُ ما حـ لَّ فينا من اذىً عممِ
وهذا اليومُ يومُكم لوَدعِ عظيمِ إثمهمِ

* * *

فاغنوهمْ بتمهيلٍ وتعليلٍ بُغتنمِ
ومنوَّهمْ بتهويلٍ وانذارٍ لِمُجترمِ
فآبوا بين تهليلٍ وشكرٍ غيرِ منكتمِ

* * *

وهل يدفعُ وعدٌ او وعيدٌ جيشَ مُنتقمِ

وهل يردعُ انذارٌ صبيبَ الغيظِ والضَرمِ
وهل يقعدُ عن ثأرٍ كميٌّ او سليلُ كميّ
فذاقوا طعمَ تقتيلٍ جزاءَ قديمِ غدرِهم
بنسفٍ غير منفصلٍ وضربٍ غيرِ مُنفصمِ
وصاحوا يا لهولِ الخط بِ بتنا في يدِ العدمِ
فاينَ عهودُ اقوامٍ وأقيالٍ أُلي عُظمِ
واينَ صروحُ آمالٍ بنيناها على قُمَمِ
واينَ الحكمُ هل يَبعـ ثُ ارواحاً الى رِمَمِ
وهل يُحيي اصطباراً ما تَ بالتسويفِ والسأمِ
أَماتَ الحقُّ والانصا فُ بين الهدمِ والحُمَمِ
أَجيبوا يا دُعاةَ الار ضِ بل يا غصةَ الألمِ

* * *

اذا بالصوتِ يتلو شبْـ هَ وَحيٍ حطَّ من عَلَمِ
يقول قضى رجالُ الحكـ مِ اهلِ العلمِ والهممِ
بانَّ الحقْ مشكوكٌ بهِ في هـذهِ الظُلمِ
وكيفَ يبينُ حقٌّ دو نَ أشهادٍ ذوي قيمِ
ولا حقٌّ لمغلوبٍ ولو قد عاذَ بالحرمِ
وانَّ الظلمَ يأباهُ رجالُ الحكمِ والشممِ
ولكن لا جديدٌ تحـ تَ هذي الشمسِ في النُظُمِ

فان الحقَّ للقوْ ة شرعُ اللهِ من قدمِ
أنعصي اللهَ أم نقضي بما قد خطَّ بالقلمِ ؟

* * *

فغمَّرهمْ بنو الحبشا نِ باللعناتِ والسخمِ
وقالوا شرُّ اهلِ الار ضِ قومُ فرنجةِ الاممِ
أنحنُ البربرُ الاجلا فُ اهلُ النكثِ والشؤمِ
وانتم امةُ الاشرا فِ اهلِ العدلِ والذممِ
عليكم لعنةُ الرحما نِ في الاصباحِ والظلمِ
أضعتمْ ملكنا بالمط لِ والتغريرِ والبرمِ
وانتم شرُّ مخلوقٍ براهُ خالقُ النسمِ
فلا اختلجت لكم عينٌ ولا سرتم على قدمِ

* * *

وشمَّ الترْكُ ريحَ النف طِ يصعدُ من ربى إرمِ
ولم تكُ قصةٌ للنف طِ شاعت عندَ مقتحمِ
وللاتراكِ طرمذةٌ تسمَّى البلفَ بالعجمي
وتُدعى عندنا نفخاً وشعوذةً لمختصمِ
وجاءتهم جواسيسٌ بنقلٍ غيرِ متهمِ
فقالوا ذاكَ عن باريـ ـزَ عن صحبٍ ذوي كرمِ
أناسٌ قد ملكناهمْ ببلفٍ غيرِ محتشمِ
فقبل الحربِ ربواتٍ أدانونا بلا عتمِ
سبكناها رصاصاً قد تغلغلَ في جسومِهمِ

وعُقب الحرب اغنونا باسلحةٍ بلا قِيَمِ
الى أن مكّنونا من هلاكِ ارامنِ التُخمِ
وودّعناهُمُ بفنا ءِ قسمٍ من جنودهمِ
سلوا اهلُ الرها عمّا دفنّا في جوارهمِ
وما غضبوا ولا عتبوا وذاكَ دليلُ بأسهمِ
لهم وَلَعٌ بنا ولئن ولغنا في دمائهمِ
شبيهُ الشيءِ منجذبٌ وفينا بعضُ شكلهمِ
وليس لهم بنا شَغَفٌ ولكن غَيرةً بهمِ
وان سمّيتها حسداً فلم تُبعدْ بوصفهمِ
فهم للانكليزِ عِدىً ولو مزجوا دماً بدمِ
وخافوا ان تصيرَ فرو قُ غنماً فوق غنمِهمِ
فَمدّونا بأعتدةٍ وامدادٍ كذي رَحِمِ
وما بالوا بعسكرهمْ ولا بالارمنِ الفُدُمِ (١)
وقالوا دونكم إزميـ ـرَ فاقتحموا كمنتقمِ
ولا تدَعَوا من اليونا نِ طفلاً او أخا هَرَمِ
وجدّوا نحو إستمبو لَ واحتكموا بطردهمِ
ونحنُ نسيرُ عنكم أوّ لَ الحلفاءِ كالحشمِ
وسوف ترونَ منا الغنـ ـمَ يتلو الغنمَ كالدِيَمِ

* * *

(١) الثقلاء الدم

ولما أنْ حللنا في ربوعِ الأمنِ والحَرَمِ
اتانا نحوَ أنقرةٍ رسولٌ من جنابهمِ
شنيعُ الاسمِ والكنيَ ةِ والسحنةِ والنغَمِ
سألنا العلجَ ماذا الاسـ ـمُ قال كُنيتُ بالوخمِ
فقلنا قُبحَ المرسـ ـلُ والمُرسَلَ من بُكمِ
واملينا عليهِ نصَّ عهدٍ غيرِ عهدهمِ

* * *

وقيل التركُ مندفعو نَ للعدوانِ والنقمِ
وسرّاً لفقوا كذباً سَداهُ غيرُ ملتحمِ
اذاعوا أنَّ اخواناً تنادوهمْ من التُخُمِ
يقاسونَ البلا من جو رِ عرْبٍ خصمِ جنسهمِ
لذلك طالبوا ذاتَ الـ ـحليفة حقَّ مُنظلمِ
فقال لهم ذوو الانصا فِ هذي فريةُ الخَصِمِ
أليسوا منذ اقصى الدهـ ـرِ في دَعةٍ وفي حَرمِ ؟
وهل شمَّ الكرامُ العُر بُ ريحَ الحكمِ والعَلَمِ ؟
اجابوا انتمُ الاغفا لُ تختبطونَ في الظُلَمِ
اما هـذي حليفتُهمْ تُعاونُنا على الغنَمِ
أيبلغُنا بنو التاميـ ـرِ ثم نبيتُ كالبُهَمِ
ولسنا في جوارِ المو صِلِ الحدباءِ والضرَمِ
ولكن في جوارِ بني فرنسا اللطفِ والكرَمِ
نشارُكهمْ بلطفهمِ ونشرُكهمْ بنفطهمِ

واحياناً نُهدّدهمْ واحياناً ذوو رَحِمِ
ونبشُ عهدةَ الخنزيـ ـرِ فرنكلينَ ذي الوخمِ
فقد بهرتهُ هيبتُنا فامضى وهو شبهُ عَمِ
وسوفَ تعيُننا جميـ ـعُ الاسقامِ والسخمِ
بلوناها وفيها زُمـ ـرةُ الاغفالِ كالنَعمِ
غباوةُ جاهلٍ قد حكّ موهُ في ذوي القيمِ
نُسيّرُها كما نهوى فتتلو الوحيَ كالصنمِ
يساعُدنا خبيثٌ عنـ ـدَنا منهمْ كمختصمِ
وكنا قد عهدناهُ قديماً من ذوي البكمِ
ويسعفُهُ سفيرُ الانـ ـكليزِ لحيرِ مُختتمِ

وهي طويلة وبهذا القدر كفاية. سنة ١٩٣٦

وقال معرّباً ابياتاً للشاعر المشهور لامرتين:

سرْ مُسرعاً ليس يغني الناس ما علموا كم معجزات بدتْ من فكر مجتهدِ
أما ترى مُشعلَ المصباحِ يطفيء ما في كلّ ليلٍ يُريه خطّة الرشدِ
كيما يُجدّدَ نوراً تلوَ ليلته يضيفُهُ ابداً للنّير الابدي

بعلبك في ١٢ آب سنة ١٩٣٧

وقال معرّباً هذه القصيدة لـ الفريد ده موسّه:

جوانا

لله ما أسعدني سيدتي بذا اللقاءِ بعدَ مرّ الغيبةِ
في كلّ من احببتهنّ لم اجدْ الاّ هواكِ اولاً يا منيتي

هل تذكرينَ قصةَ العشقِ وما ... جرى لنا فكلهُ في فكرتي
قد كان في الصيف الذي قد انقضى ... اوّاهُ يا مالكتي وفتنتي
هل تعلمينَ يا غراماً عُتقا ... كالخمر اني في حلول الشتوةِ
سأبلغ العشرين من فتوّتي ... وانتِ ستاً بعد اثنى عشرةِ
والان يا هوى فوأدي فاعلمي ... إنْ ذبلت بعضَ الذبول وردتي
فلم تزل الى الجمال تنتمي ... وانتِ يا ساحرتي وجنّتي
من لا شبيهٌ لكِ في الحسن ولا ... في سَرَفِ الهوى وجهلِ الصبوةِ
هل تذكرين ما جرى في الصيفةِ ... من نِقمةِ السخطِ الاسنى نعمةِ
اذ قد وهبتِ ليَ كيما ينجلي ... ما بيننا عقدكِ ذات ليلةِ
فظلّ ما بين يدي ثلاث ليـ ... ـلاتٍ قضيتُها بغيرِ غفلةِ
طوراً اضمّهُ لصدري خائفاً ... من فقدهِ وتارةً لقبلةِ
ولستُ انسى دايةً شيطانةً ... صحبتها لراحةٍ وخدمةِ
كانت علينا شرّ واشٍ ذلك الـ ... ـيومِ وحقاً كان يومَ النقمةِ
اذ رمتِ يا لؤلؤةَ الاندلسِ الـ ... ـحسناءِ قتلَ اثنينِ دون رحمةِ
فقتل صبٍّ من سروره وقتـ ... ـلَ الزوجِ ذاكَ الشيخ قتل الغيرةِ

* * *

وانما حذارِ يا لؤلؤتي ... اذ انّ هذا العشقَ عشقَ الفورةِ
مهما يقولون به لا بُدّ من ... رجوعه يوماً لتلك المهجةِ
فانّ قلباً قد حواكِ يا منى الـ ... ـنفس غدا رحباً لغير صبوةِ

* * *

وما عسى اقولُ والدنيا كذا ... في الناس قد جرت بحكم القدرةِ
و كيف لي بدفع امواجٍ وقد ... تتابعتْ ولستُ ربّ قوةِ

فأغمضي عينيكِ عني وامنعي ... يديكِ مني وانعمي في سلوتي
وداعَ روحي بكِ يا سيدتي ... هذا سبيلُ الخلقِ في ذي الغمرةِ

* * *

اجنحةُ الايام لا تُبقي على ... صيفٍ ولا من صافَ في ذي البقعةِ
ان الحياةَ والزمانَ معها ... ليذهبانِ كذهابِ الريشةِ
كذلك الامالُ والشهرةُ والـ ... ـمحبُّ مهما ذاقَ في المحبةِ
وانتِ يا من بعد هـذا كلهِ ... لا تذكرين بعض تلك القصةِ

حلب في ٣ ت ١ سنة ١٩٣٧

وقال معرّباً عن الفرنسية ✡

إن شئتِ أن ترفعيني فوق كل بني ... حوآء عن نعمةٍ في الجود غرّاءِ
روّي بابيض كفٍّ منكِ ظمءَ فمي ... ان كان ذا الثلجُ لا ينحلُّ في الماءِ

✡ Veux-tu par un doux privilège, Me mettre au dessus des humains ?
Fais-moi boire au creux de tes mains, Si l'eau n'en dissout pas la neige.

معجزات الغرام او سر الفنون

اشرحِ الصدرَ للمحاسن طرّاً ... واجعلِ النفسَ للنعيمِ سماءَ
وتعشّقْ كُهيلةً او فتاةً ... او مهاةً او دميةً خرساءَ
انما السرُّ أن تذوبَ غراماً ... كي تناجي كواكباً او ظباءَ
فاذا جُلتَ في الصبابة كنت الـ ... ـزهرَ مسّاً ونكهةً ورُواءَ
واذا ملتَ كنتَ كالغصنِ لدناً ... بل نسيماً لطافةً وانحناءَ
تارةً تسحرُ العقولَ بانشا ... دٍ وطوراً تمازجُ الصهباءَ
واذا قيل من لكرٍّ وفرٍ ... كنتَ ليثاً يدكُّ البطحاءَ

واذا ما خطبتَ اسمعت رعداً قاصفاً تارةً وطوراً غناءَ
كلُّ سرٍّ للحسن في الكون حبٌّ فيه تستعذبُ النفوسُ الفناءَ
كلُّ ما استكمل الملاحة في فن ٍّ فذو الفنِّ ذاب فيه عناءَ
لا يهونُ العناء الا على من هامَ في الفنِّ واستخسَّ الثراءَ

وكتب الى ابنته مدام الياس غضبان وارسلها مع بناتها وكن مصيفات عنده

معَهنَّ سارت بعضُ روحي فاذكري ما أنْ نظرتِ جمالهنَّ أباكِ
مهما تباعدتنَّ عن نظري فثَمْ واهنٌ قلبٌ داعاً مثواكِ
الحبُّ في عرش النفوس مقامُهُ ونفوسُ اهلِ الحبِّ كالافلاكِ
لا قوةٌ تستطيعُ مسَّ جنابها ولو انها بلغت علا الاملاكِ

وقال معرّباً البيتين المذكورين ادناه *

يا نعمةً ولّتْ ولا يُرجى لها عودٌ ولكن ذكرُها يضنيني
يا ليتني لما اضعتُكِ مُرغماً ضيَّعتُ معكِ تذكري وحنيني

☆ Félicitée passée, Qui ne peut revenir
Tourmant de ma penssé, Que n'ai-je en te perdant perdu
le souvenir
A Bertant. XVI

حديث النفس او مسك الختام

إن كانَ بعضُ الشعر غيرَ سديدِ خُذْ من حديثِ النفس كلَّ مفيدِ
فالنفسُ سرٌّ لم ينلْ ادراكه مسترشدٌ الاَّ بفكِّ قيودِ
فكأنه يعلو على متنِ الريا حِ بنفحةٍ مقرونةٍ بخلودِ
حجبتهُ عن عينِ البصير كثافةٌ من عنصر الاعراضِ ذات سدودِ

من للبيب بانْ يبدّدَ ما يطو ... فُ حوالهُ من عاملِ التشريدِ
فيغضّ طرفاً عن مناظرِ عالمٍ ... يلهو به اللاهونَ بالتقليدِ
ويصدّ سمعاً عن حديثِ مطامعٍ ... ومظالمٍ وخيانةٍ وحقودِ
فيرى تفاهاتِ الحياةِ ولهوها ... كابوسَ سكرانٍ بخمرٍ قرودِ
تتكشّفُ الدنيا لهُ عن صورةٍ ... معبودُها طمعٌ بغيرِ حدودِ
ويرى اتمّ هدايةٍ في خلوةٍ ... مع نفسهِ توليهِ كلّ سعودِ
متجرّداً من ثقلِ ارضياتها ... متباعداً عن مجمعٍ منكودِ
فيرى بعينِ العقلِ اغربَ منظرٍ ... لحضورها فيه حضورَ عميدِ
اذ انها تبدو لهُ بمظاهرٍ ... ما بعدها من واضحٍ لِمُريدِ
ويرى بعين النفسِ ابدعَ ما الى ... إدراكهِ يصبو فوأدُ رشيدِ
لا ينتهي إعجابُهُ من غبطةٍ ... بمواقفٍ ليست من المعهودِ
حتى يناجي نفسهُ بسعادةٍ ... فوقَ التي قد حازها بصعودِ
وكأنما النفس النفيسةُ عُريتْ ... فصفت صفاءَ الجوهرِ المنقودِ
فرأى بألفتها عجائبَ لم تدُر ... في وهمهِ كحقيقةِ المشهودِ
واصابَ لذّاتٍ اتت عن صفوة الـ ... افكارِ من كدرٍ ومن تعقيدِ
وكأنّ الفتَهُ لها ماءٌ غدا ... متمازجاً مسكيّةَ العنقودِ
لا لذّةٌ في الكون تحكيها وانْ ... لم تقترنْ افعالُها بشهودِ
بل لو بدا ريبٌ لهُ بوجودها ... فالريبُ يدقعُ حُجّةَ التفنيدِ
هل تستوي عند القضاءِ شهادةُ الـ ... محسوسِ مثل شهادةِ المجحودِ ؟
فكأنها نجمٌ باقصى شعرةٍ ... ناداكَ مضطرباً بقولِ مُجيدِ

إن انتَ لم تفكر بجدٍ انني ... في الكون موجوداً عدمتُ وجودي
ولكم عظائمَ لم تكن لو لم اكن ... حدَّثتُ عنها النفسَ في مجهودي

تموز ١٩٣٩

تمت

فهرس القوافي

حرف الهمزة — صفحة

يا رسوليَّ اذهبا فابلغاها ٩
خفف الوطءَ .. علينا ١٥
وانتِ يا كواكب السماءِ ٣٢
جنى قوم على الدنيا ٩٣
اصحابنا في مصر .. الذكرى ١٠٥
فؤادُ ما تعداكم ١٠٧
نجم بدا .. ثم هوى ١٣٤
اشرح الصدر .. سماء ١٥٠

حرف الباء

من اسرة الغنَّام .. رطيبه ٣١
نظمت لي دروراً ام صغت لي ذهبا ٦٢
يا رفيع الصوت يا روح الطرب ٧٥
قد هيجت وجدي لبسط العتاب ٧٦
ما بال قلبك .. يضطرب ٨٤
يا من رأيتُ به .. تأديبِ ٨٤
عفوت حتى لا اريدُ العتابْ ٨٥
يا حزيناً يقضي الحياة كئيبا ٩٩
لئن كنت قد .. كالقرب ١٠٥

صفحة

لنا صديق ان .. طربا ١٠٧
عييٌّ بنطق الحمد .. مذاهبه ١٠٨
قد احتكروا .. والمراتب ١١٤
اهلاً بطلعة وجهك المحبوب ١١٨
دمت يا فارس الخطب ١٣٩

حرف التاء

بحق مَن يا منيتي ٨١
للهِ ما اسعدني سيدتي ١٤٨

حرف الدال

تقولُ غداً هل تدري ما يلدُ الغدُ ١٠٣
اما لقربك بعد الهجر ميعاد ١١٢
نعم ذاك وجد الصب لا وجد دونه ١١٧
سألنا فقالوا هذهِ جنة الورد ١٣٥
في اثر سعيدٍ يا اسعد ١٣٧
ان كان بعض الشعر غير سديدِ ١٥١

حرف الراء

يا امامَ القريضِ .. مجارِ ١٤

	صفحة
مثلكم فوق هذه .. القبور	١٥
دع عنك صهباء الدساكر	١٧
عوّذت بالله امامَ العصرِ	٤٦
وذات حسنٍ وقدرِ	٨٦
سادت بهذا الكون حكمة قاهرِ	١٠٦
شاءت الحسناء .. زياره	١١٥
اشعة نسجت من معدن النورِ	١٣٢

حرف السين

ما كان ذنبي يا اعزّ الناسِ	١٦
يا جنان الشام .. طيب الانفس	٥٨
عجباً حلموا عذاب النفوسِ	٦٢
فتنت محاسنها .. القدّاس	٧٦
أهي الجنة التي .. باريسُ	٨٨

حرف الضاد

زرتُ لندنٌ .. الرياضِ	٨٧
تحت الجبال خمائل وغياضُ	١٠٥
نوّابنا نوائب .. قضوا	١١٥

حرف الطاء

للهِ في ذا الخلق .. الغلط	١٣

حرف العين

بعد خلق الاكوان خلقاً بديعا	٢٩
غادة بين يديها .. الضلوع	٥٨
وحقكِ ايزابيل ما انا هاجعُ	٧٧
اجري ومن فرط .. ادمعي	٨٦
اقنع من الدنيا .. الطمع	٩٢

	صفحة
تهتز الارض ولا تقع	١١٧

حرف القاف

قد كافأوني بشرّ .. حقاً	١٦
يا ثلج في مصبحي وفي غسقي	٧٨
نوابنا لما بنا .. رقوا	٨١
ان المؤذّن في دمشق مؤرقي	١٠٧

حرف اللام

حسبُ المحبِ على الغرامِ دليلا	١١
جرت في ذلك السهلِ	٦٠
ناظم الفضل اننا .. عيالا	٧٠
كل حمدٍ لما صنعتم قليلُ	٧٣
انا مثلما شئت وشاء دلالكِ	١٠٢
أما في الحمى ضوء لمن جنهُ الليلُ	١١٥
شغلتني حوادث الدهر .. فضول	١٢١

حرف الميم

اعدل اذا قوّمت .. ظلم	١٧
قف بالديار وحيّها .. الوسيمه	٧٢
امعروف قد واسيت قلب المتيم	٧٤
ان ايامنا التي .. الايام	١٣٣
في بعلبك جنة الحوّام	١٣٨
صراع السيف والقلمِ	١٤٠

حرف النون

ظبيٌ تهاب الاسد موقف طعنهِ	٩
رسومنا تفنى .. الكونِ	٢٤

	صفحة
للهِ رب العرش والاكوان	٤٢
الرقة البيضاء .. احزانها	٧١
رسومنا .. « مكرر »	٩٢
ثقل الطرف في ربوع الامانِ	٩٩
ان اصبحت بيروت .. والعرفان	١٠٨
بالله يا نسماتِ الرند والبان	١٠٩

	صفحة
حرف الهاء	
يا عشير الصبا الكريم السجيه	٢٣
حرف الياء	
اضاع عهدي .. يديهِ	١٣
ان الحبيب .. نسميه	٣١
قد تركنا احب ارضٍ .. العصريه	٦٣

فهرس الموشحات

٢٤	ميلاد الربيع	الزوجان في الشيخوخة	٤٣
٣٢	الغاوية	شباب الربيع	٤٧
٣٥	الغانية	المرصع رثاء العلامة اليازجي	٦٤
٣٨	الحسود	ما نقص في المرقص	٦٨

تصحيح الغلط

صفحة	خطأ	صواب	صفحة	خطأ	صواب
١٧	سنة ١٩٩٥	سنة ١٨٩٥	٨١	احبْ	احبُ
٢٠	كلٌ	كلِ	٩٥	وابنا	وازوجا
٢١	تعزوا	تعزو	٩٨	اذالوا	ازالوا
٢٥	للمقل	المقلَ	١٠٥	والساكنينِ	والساكنيهِ
٦٢	الاعينُ	الاعينِ	١٠٨	عيسي	عيٌ
٦٥	فضلكِ	فضلكَ	١٣٢	كان اشد تأثير	كان لها اشد
٦٨	بتات	بنات	١٢٧	فما صعدت اليه	فلما صعدت
٧٦	المعارض	المعارف	١٣٢	تهدي لنا طرقاً	تهدي لنا طُرَفاً
٧٨	للشورية	للشوروية	١٤٤	سبيب	صبيب

DATE DUE

الحمصي، فسطاكي
مختارات من نظم... فسطاكي الحمصي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01034157

892.7
Ha532mA
v.1